المقارنة بين عقيدة الإمام أحمد وبعض متأخّري الحنابلة

(ابن بلبان – عبدالباقي المواهبي – عثمان بن قائد نموذجاً)

إعـــداد

د. أيمن بن سعود بن عبدالعزيز العنقري

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

ملخص البحث

✍ يهدف البحث إلى المقارنة بين عقيدة الإمام أحمد وبعض متأخري الحنابلة، وهم: ابن بلبان وعبدالباقي المواهبي وعثمان بن قائد. وخلاصة البحث فيما يلي:

أولاً: خالف ابن بلبان ومن معه عقيدة الإمام أحمد في بعض مسائل الاعتقاد منها:

١- معرفة الله نظرية وليست فطرية، وأول واجبٍ على المكلّف النظر.

٢- استعمال الألفاظ المجملة؛ كنفي الجوهر والعرض وحلول الحوادث والمكان عن الله.

٣- الوقوع في بدعة التفويض في صفات الله، والاقتصار في إثبات الصفات الذاتية دون الفعلية الاختيارية.

٤- نفي الحكمة والتعليل في أفعال الله، وموافقة الأشاعرة في تفسير معنى تنزيه الله عن الظلم.

٥- الاستثناء لأجل الموافاة، وحصر الكفر بالجحود والتكذيب.

٦- إدخال عبدالباقي المواهبي الأشاعرة والماتريدية في مفهوم أهل السنة.

ثانياً: لا يجوز أن تنسب هذه العقائد التي قرّرها ابن بلبان وعبدالباقي وعثمان بن قائد للإمام أحمد، أو للحنابلة، وإنما تنسب لهم فهم تأثّروا بعقيدة متأخّري الأشاعرة؛ لوضوح مخالفة الإمام أحمد لهذه العقائد التي ذكروها.

ثالثاً: منشأ الغلط في بعض المسائل العقدية لدى بعض متأخري الحنابلة كابن بلبان ومن معه: الاعتماد على رسالة التميميين فيما نقلاه من فهمهما لعقيدة الإمام أحمد لا من لفظه.

Abstract

This research aims to compare between the beliefs of Imam Ahmad ibn Hanbal and some of his late followers (hanbalites) and they are: Ibn Bilban, Abd-Albaqi Almawahibi, Othman ibn Qa'id (as an example). And the summery of this research as following: Firstly: ibn Bilban and his followers disagreed with Imam Ahmad in some belief matters including: knowing Allah is a theoretical matter not an innate matter, the first duty upon the Legally competent (according to Sharia) is reconsidering using of the Words of Wide-Ranging Meaning, such as denial of Essence, Appearance, Incarnation and Immanence in Creatures and Position in relation with Allah, falling in the heresy of Attribution of Allah's Attributes, limiting assertion on self attributes without assertion on attributes in relation with deeds, denial of reasoning and wisdom behind Allah's deeds, agreeing with the Ash'arites in explanation the meaning of denial attribution of injustice to Allah, limiting of faith by person's belief when he dies, limiting Kufr (disbelief) by denial and refutation and Abd-AlbaqiAlmawahibi considered Ash'arites and Maturidi a part of Sunnis (AhluAlsunnah and Aljamah). Secondly: The beliefs which agreed on by ibn Bilban, Abd-AlbaqiAlmawahibi, Othman ibn Qa'id shall not be attributed to Imam Ahmad or his other followers (hanbalites), but it must be attributed to them because of the influence of late Ash'arites on them; because of the obvious disagreeing of Imam Ahmad with these beliefs which have been mentioned by them. Thirdly: The source of blunder in some belief matters of some of late hanbalites such as Ibn Bilban and his path followers is: depending on the Dissertation of Tamimis in relation with what they have mentioned basing on their understanding of the beliefs of Imam Ahmad not basing on his words.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين أمّا بعد:

فقد ظهرت نابتةٌ يدَّعون أنّهم على مذهب الحنابلة في الاعتقاد، يستشهدون بكلام بعض متأخّري الحنابلة؛ كابن بلبان في كتابه "مختصر نهاية المبتدئين في أصول الدين"، وعبدالباقي المواهبي في "العين والأثر" وعثمان بن قائد في "نجاة الخلف" على أنّ ما ذكره هؤلاء هو عقيدة الإمام أحمد، فرغبت في كتابة هذا البحث؛ للمقارنة بين عقيدة الإمام أحمد من أقواله وتقريراته، وعقيدة بعض متأخّري الحنابلة ليتبين هل هم موافقون للإمام أحمد في مسائل الاعتقاد أو مخالفون له.

☜ أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١-تحقيق مدى موافقة بعض متأخّري الحنابلة أو مخالفتها لعقيدة الإمام أحمد.

٢-تجلية سبب انتقائية هذه النابتة الذين يسمون بـ "الحنابلة الجدد" لعقيدة بعض متأخّري الحنابلة ونسبتها للإمام أحمد.

٣-توضيح منشأ الانحراف لدى بعض متأخّري الحنابلة لعقيدة الإمام أحمد.

🕮 منهج البحث:

المنهج الوصفي، والاستقرائي، والتحليلي النقدي.

- الدراسات السابقة:

بعد البحث وجدت دراسةً بعنوان: "المسائل العقدية التي خالف فيها بعض فقهاء الحنابلة إمام المذهب". **لمؤلفها**: حمود بن إبراهيم السلامة، وأصلها رسالة ماجستير بقسم الثقافة الإسلامية-كلية التربية-جامعة الملك سعود.

وهي تختلف عن بحثي من وجهين:

١- من حيث أعلام الحنابلة، فصاحب الرسالة اقتصر فيها على كتاب كشاف القناع أنموذجاً، ولم يتطرّق لتقريرات ابن بلبان وعبدالباقي المواهبي وعثمان بن قائد الذين يستشهد بأقوالهم من يسمون بـ"الحنابلة الجدد".

٢- من حيث المسائل المبحوثة، فصاحب الرسالة تطرّق للمسائل التالية:

-التوسل.

-المجاز في صفات الله.

-المسائل العقدية في كتاب الجنائز، ومنها: تلقين الميت، والبناء على القبر ورفعه، والطواف على القبر، والذبح عند القبر.

-المسائل العقدية الواردة في كتاب الزكاة والصيام والحج، ومنها: حكم التمائم، وشدّ الرحل لزيارة القبور وتقبيلها والتمسّح بها.

-المسائل العقدية الواردة في كتابي الحدود والأيمان، ومنها: حلّ السحر بالسحر، والحلف بالأمانة، والحلف بالنبيّ صلّى الله عليه وسلم، وحكم الطيرة.

✍ **أمّا بحثي من حيث الأعلام فسيقتصر على ثلاثة:**

١- ابن بلبان في كتابه: "مختصر نهاية المبتدئين" في أصول الدين.

٢- عبدالباقي المواهبي في كتابه: "العين والأثر في عقائد أهل الأثر".

٣- عثمان بن قائد في كتابه: "نجاة الخلف في اعتقاد السلف".

✍ **وأمّا من حيث المسائل فسيكون في المسائل التالية:**

١- المعرفة هل هي فطرية أو نظرية؟ وما أول واجبٍ على المكلّف؟

٢- استعمال الألفاظ المجملة والمصطلحات الحادثة، كالجوهر والجسم، والمكان.

٣- التفويض للصفات.

٤- نفي الحكمة والتعليل في أفعال الله.

٥- الاستثناء في الإيمان.

٦- معنى تنزيه الله عن الظلم.

٧- مفهوم أهل السنة، وهل يدخل فيه الأشاعرة والماتريدية؟

٨- نفي التجزّؤ والانقسام في حقّ الله جلّ وعلا.

٩- حصر الكفر بالتكذيب والجحود.

١٠- الصفات الفعلية الاختيارية.

✍ **خطة البحث: تشتمل على تمهيد وستة فصول:**

-تمهيد: وفيه الكلام عن:

-ترجمة ابن بلبان مع تعريفٍ موجزٍ بكتابه: "مختصر نهاية المبتدئين في أصول الدين".

-ترجمة عبدالباقي المواهبي مع تعريفٍ موجزٍ بكتابه: "العين والأثر".

-ترجمة عثمان بن قائد مع تعريفٍ موجزٍ بكتابه: "نجاة الخلف".

الفصل الأول: نظرية المعرفة وأول واجبٍ على المكلّف.

الفصل الثاني: استعمال الألفاظ المجملة والمصطلحات الحادثة.

الفصل الثالث: الصفات الفعلية الاختيارية، والموقف من التفويض.

الفصل الرابع: الحكمة والتعليل، ومعنى تنزيه الله عن الظلم.

الفصل الخامس: الاستثناء في الإيمان، وحصر الكفر بالجحود.

الفصل السادس: مفهوم أهل السنة وهل الأشاعرة والماتريدية داخلون فيه؟

الخاتمة: وفيها النتائج.

-فهرس المراجع والموضوعات.

تمهيد

ترجمة ابن بلبان مع تعريفٍ موجزٍ بكتابه: "مختصر نهاية المبتدئين في أصول الدين"

هو محمد بن بدر الدين بن بلبان البعلي الأصل، ثمّ الدمشقي الصالحي الفقيه المحدث الحنبلي.مشهور بالبلباني، الخزرجي الأنصاري.

"كان عالماً ورعاً عابداً، قطع أوقاته في العبادة والعلم والكتابة والدرس والطلب حتى مكّن الله تعالى منزلته من القلوب، وأحبّه الخاص والعام.وكان ديناً صالحاً حسن الخلق والصحبة، متواضعاً حلو العبارة، كثير التحرّي في أمر الدين والدنيا، منقطعاً إلى الله"[(١)].

شيوخه وتلاميذه:

ذكر المحبّي من شيوخه:

١-الشهاب العيثاوي.

٢-الشمس الميداني.

٣-ابن أبي الوفاء الوفائي.

وأمّا تلاميذه فمنهم:

١-أبو المواهب الحنبلي.

٢-عبدالحي العكري.

٣-محمد المحبّي صاحب خلاصة الأثر حيث قال: " وحضرته أنا وقرأت عليه في الحديث "[(٢)].

مؤلفاته:

١-مختصر نهاية المبتدئين في أصول الدين.

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبّي (٣/ ٤٠٢) .

(٢) المصدر السابق ،نفس الصفحة.

٢-أخصر المختصرات في الفقه، وهو مطبوع متداول، وعليه عدّة شروحات، منها"كشف المخدرات".

٣-كافي المبتدي في الفقه أيضاً.

وفاته:

توفي البلباني لسبعٍ خلت من رجب سنة ثلاث وثمانين وألف للهجرة، ودفن بالسفح.

-وأمّا كتابه: "**مختصر نهاية المبتدئين في أصول الدين**" فهو كما جاء في العنوان: اختصار لكتاب نهاية المبتدئين لابن حمدان الحرّاني الحنبلي المتوفّى سنة ٦٠٣هـ، وقد ذكر البلباني في مقدمة كتابه الموضوعات التي ذكرها، وبيّن أنّ الأصل وهو اعتقاد ابن حمدان كان في ثمانية أبواب، فاختصره إلى خمسة أبواب، وخاتمة وتتمّة. ورتّب ابن بلبان مختصره على الأبواب التالية:

الباب الأول: في معرفة الله، وما يتعلّق بذلك من صفاته.

الباب الثاني: في أفعال الله، وتكلّم فيه عن التحسين والتقبيح.

الباب الثالث: في الأحكام، وفيه مباحث الإسلام، والإيمان، والتوبة، والردّة، والإيمان بالقضاء والقدر.

الباب الرابع: في بقية السمعيات، وفيه الكلام عن أشراط الساعة، وما يكون في يوم القيامة.

الباب الخامس: في النبوءة والإمامة، وفيه إرسال الرسل، وتفضيل النبيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما يتعلّق بالإيمان برسالته، ثمّ في كرامات الأولياء، ثمّ في الإمامة وشروطها.

ثمّ الخاتمة: وتكلّم فيها عن الأحكام التكليفية وأنواع الأدلّة، وتعريفاتها، ثمّ عرّف ببعض المصطلحات المنطقية.

ثمّ التتمّة: وفيها وجوب التسليم لله ورسوله، ووسطية أهل السنة بين الفرق، وذمّ التعمّق.

بعض المآخذ إجمالاً على هذا المختصر:

١-وافق ابن بلبان في مختصره بعض مقالات المتكلمين في تقرير بعض المسائل العقدية، ومنها:

١-مسألة: أول واجبٍ على المكلّف "النظر"المؤدّي إلى المعرفة.

٢-وصف الله جلّ وعلا بالألفاظ المجملة والمصطلحات الحادثة؛ كقوله: "لا يتجزّؤ ولا ينقسم".

وقوله: "ليس بجوهرٍ ولا جسمٍ ولا عرضٍ ولا تحلّه الحوادث، وليس في مكان".

٣-إطلاق القول بأنّ صفات الله قديمة دون تفصيل؛ كصفة الكلام والإرادة وغيرها.

٤-قوله بأنّ الله لا يوصف بالقدرة على الظلم، وهذا فيه موافقة الأشاعرة في معنى تنزيه الله عن الظلم.

٥-موافقته للأشاعرة في كون التحسين والتقبيح مردّهما للشرع فقط دون العقل.

٦-وقوعه في التفويض لصفات الله قوله: "الصحابة والتابعين وتابعيهم اكتفوا بالإيمان بجميع ما ورد في الكتاب والسنّة من أسماء الله وصفاته، مع إمراره كما جاء من غير تعرّضٍ لتفسيره أو تأويله.

٧-نفي التعليل في أحكام الله موافقةً منه لمعتقد الأشاعرة.

وهناك مآخذ أخرى سيأتي ذكرها تفصيلاً في ثنايا البحث -إن شاء الله-.

✿ ترجمة عبدالباقي المواهبي مع تعريفٍ موجزٍ بكتابه: "العين والأثر في عقائد أهل الأثر".

هو عبدالباقي بن عبدالباقي بن عبدالقادر البعلي المواهبي الحنبلي الدمشقي، ولد ببعلبك ليلة السبت ثامن عشر ربيع الثاني سنة/ ١٠٠٥هـ ،حفظ القرآن على يد والده، ثمّ قرأ الفقه على القاضي محمود بن عبدالحميد الحميدي سبط الشيخ موسى الحجاوي، وعلى القاضي الشيخ شهاب الدين أحمد الوفائي المفلحي، من سنة ١٠١٧هـ حتى سنة ١٠٢٩هـ.ثمّ دخل

مصر سنة ١٠٢٩هـ، وله أربع وعشرون سنة، فقرأ الفقه على الشيخ منصور البهوتي، والشيخ عبدالقادر الدنوشري، والشيخ مرعي الكرمي وغيرهم.

أمّا تلاميذه فهم كثير منهم:

١-الشيخ حمزة بن يوسف الدومي.

٢-الشيخ أحمد الدومي.

٣-الشيخ عبدالقادر التغلبي.وغيرهم.

مؤلفاته:

له شرح على الجامع الصحيح للبخاري ولم يكمله، ورسالة في قراءة عاصم، والعين والأثر في عقائد أهل الأثر، وهو كتابنا الذي سنتكلّم عنه بإذن الله. وغيرها من الكتب.

وفاته:

توفي الشيخ عبدالباقي ليلة الثلاثاء سابع عشر من ذي الحجة سنة ١٠٧١هـ، ودفن بتربة الغرباء في مقبرة الفراديس بدمشق[٣].

-أمّا **كتابه: "العين والأثر في عقائد أهل الأثر"**: فهو في الاعتقاد نصّ مؤلفه في المقصد الأول: أنّه سيذكر فيه المنصوص من عقائد الحنابلة عن الإمام أحمد[٤]. مع أنّه في الحقيقة قرّر في كتابه: كثيراً من عقائد الأشاعرة. وقد ذكر في أول كتابه أنّه يشتمل على مقاصد ثلاثةٍ وتتمّاتٍ خمسٍ:

-المقصد الأول: في المنصوص من عقائد الحنابلة عن الإمام أحمد.

-المقصد الثاني: فيما وقع من المسائل الخلافية بين الحنابلة والأشاعرة، وذكر أدلة الحنابلة.

-المقصد الثالث: في مسألة الكلام وذكر ما نقل عن الإمام أحمد.

---

(٣) انظر: خلاصة الأثر في أعلام القرن الحادي عشر للمحبّي (٣/ ٢٨٣) .

(٤) العين والأثر ص١٥٢، تحقيق/ راشد بن حمد الطيار، وأصلها رسالة ماجستير قدمت لقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الإمام محمدبن سعود الإسلامية عام ١٤٠٥هـ (غيرمطبوعة) ، وهي أدق من جهة ضبط النص من التحقيق المطبوع للكتاب لعصام قلعجي، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى/ ١٤٠٧هـ.

أمّا في المقصد الأول: الذي نصّ على أنّه المنصوص عن الإمام أحمد في الاعتقاد؛ فقد قسّمه إلى خمسة أبواب:

الباب الأول: في معرفة الله تعالى.

والثاني: في الأفعال.

والثالث: في الأحكام.

والرابع: في بقية السمعيات.

والخامس: في النبوة(٥). ثمّ يذكر في كلّ بابٍ المسائل الاعتقادية الخاصّة به.

-أمّا المآخذ على المقصد الأول من كتاب: "العين والأثر في عقائد أهل الأثر" فهي كالتالي:

أولاً: يظهر بوضوح أنّ عبدالباقي المواهبي اعتمد فيها زعم من نقله عقيدة الإمام أحمد على رسالتي التميميين أبي الفضل عبدالواحد وأبي محمد رزق الله(٦). ،وفي كلا الرسالتين ينقل كلٌّ منهما ما يرى أنّه عقيدة الإمام أحمد، فيقولان: وكان الإمام أحمد يقول، وكان من مذهبه كذا وكذا.

❋ ومن الأمثلة على ذلك:

١-قال أبو محمد التميمي: "وكان رحمه الله -يعني الإمام أحمد- يقول: "أوجب الله على المكلّفين النظر والاستدلال الموصلين إلى العلم...وكان يقول: اختلاف المسلمين يدلّ على وجوب النظر؛ لأنّه لا يجوز أن يكون المختلف فيه حقّاً كلّه"(٧).

---

(٥) انظر: العين والأثر من ص ١٥٧-٢٦٤.

(٦) رسالتا التميميين: في الاعتقاد، صنّفها أبو الفضل عبدالواحد بن عبدالعزيز بن الحارث التميمي البغدادي الحنبلي، قال عنه الذهبي: "رئيس الحنابلة"، وكان صديقاً لأبي بكر الباقلاني وبينهما مودة، توفي سنة ٤١٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٧٣).

والثانية: صنفها أبو محمد رزق الله بن عبدالوهاب بن عبدالعزيز التميمي البغدادي الحنبلي، قال عنه الذهبي في السير(١٨/ ١٠٩) : "رئيس الحنابلة الواعظ توفي ٤٨٨هـ".

(٧) طبقات الحنابلة (٢/ ٢٨١).

٢-وقال أيضاً: "وكان يقول: ليست أعراضاً ولا أجساماً؛ لأنّه قد ثبت أنّ الموصوف ليس بعرضٍ ولا جسمٍ فكذلك صفته"[٨].

٣-وقال: "ومن مذهبه -يعني الإمام أحمد-أنّ العلم هو معرفة المعلوم على ما هو به"[٩].

➢ ومن الأمثلة من رسالة: اعتقاد الإمام أحمد لأبي الفضل التميمي ما يلي:

١- أنّ الله واحد لا من عدد لا يجوز عليه التجزؤ ولا القسمة، وهو واحد من كلّ جهةٍ[١٠].

٢-قال: "وكان يقول: إنّ لله تعالى يدين وهما صفة له في ذاته، ليستا بجارحتين، وليستا بمركبتين، ولا جسمٍ ولا من جنس الأجسام ولا من جنس المحدود والتركيب ولا الأبعاض والجوارح ولا يقاس على ذلك، ولا له مرفق ولا عضد[١١].

٣- قال: "ومذهب أبي عبدالله أحمد بن حنبل: أنّ لله عَزَّ وَجَلّ وجهاً لا كالصورة المصورة والأعيان المخططة..وليس معنى وجه معنى جسدٍ عنده ولا صورةٍ ولا تخطيط"[١٢].

٤- قال: "وكان يقول: إنّ لله كلاماً هو به متكلّم، وذلك صفة له في ذاته خالف بها الخرس والبكم والسكوت"[١٣].

٥-قال: "لم يزل الله غاضباً على ما سبق في علمه أنه يكون ممّن يعصيه، ولم يزل راضياً على ما سبق في علمه أنّه يكون ممّن يرضيه"[١٤].

---

(٨) المصدر السابق (٢/ ٢٧٠).

(٩) المصدر السابق (٢/ ٢٨١).

(١٠) طبقات الحنابلة (٢/ ٢٩٣).

(١١) المصدر السابق (٢/ ٢٩٤).

(١٢) المصدر السابق (٢/ ٢٩٤).

(١٣) المصدر السابق (٢/ ٢٩٥).

(١٤) المصدر السابق (٢/ ٢٩٧).

✍ **أقول**: فهذه النقول السابقة تظهر بجلاء أنّ هذه العقائد هي بعينها ما عليه الكلاّبية الأشعرية، وتثبت براءة الإمام أحمد من هذا كلّه، وأنّه لا يصحّ نسبة تلك الرسالتين التميميتين إلى الإمام أحمد رحمه الله.

ثانياً: أنّ عبدالباقي المواهبي مع موافقته لما كتبه التيميان؛ إلاّ أنّه كان أشدّ في موافقة المتكلمين من الأشاعرة، وأبعد عن معرفة المنصوص الصحيح والمنقول الصريح عن الإمام أحمد، فهو في هذا المقصد الأول بأبوابه الخمسة يصوغ عقيدةً كلابيةً أشعريةً بحتةً، لا علاقة للإمام أحمد بها من قريب،ولو رأى الإمام أحمد هذه العقيدة لأنكرها أشدّ الإنكار ولسارع بتبديعها والبراءة منها[١٥].

✍ **أقول**: عقيدة ابن حمدان ومختصره الذي معنا لا بلبان، والعين والأثر لعبدالباقي مصدرها من رسالة التميميين. فقد كان أبو الفضل وابن ابنه ابن رزق الله قد تبعوا طريقة عبدالله بن سعيد بن كلاّب[١٦] في التفريق بين الصفات اللازمة فأثبتوها، وبين الصفات الفعلية الاختيارية[١٧] فأنكروها.

وقد بدّع الإمام أحمد رحمه الله عبدالله بن سعيد بن كلاّب؛ لإنكاره صفات الفعل الاختيارية لله جلّ وعلا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والإمام أحمد بن حنبل وغيره من أئمّة السنّة كانوا يحذرون عن هذا الأصل الذي أحدثه ابن كلاب ويحذرون عن أصحابه. وهذا هو سبب تحذير الإمام أحمد عن الحارث المحاسبي ونحوه من الكلابية"[١٨].

---

(١٥) المسائل التي نسبها المتكلمون إلى الأئمة الأربعة في أصول الدين ص١١٣-١١٤. لعبدالعزيز الحميدي.

(١٦) هو عبدالله بن سعيد القطان، أبو محمد، المعروف بابن كلاب، رأس الكلابية، وشيخ أبي الحسن الأشعري، وافق المعتزلة في بعض أقواله، وأحدث بدعة الكلام النفسي، ونفي الصفات الاختيارية عن الله. توفي سنة ٢٤٠هـ ،انظر: سير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٤-١٧٦).

(١٧) هي الأمور التي يتصف بها الرب عَزَّ وَجَلّ، فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته. انظر: رسالة في الصفات الاختيارية لابن تيمية، ضمن جامع الرسائل (٢/ ٣).

(١٨) مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٦٨).

وقال أيضاً: "وأمّا الحارث المحاسبي فكان ينتسب إلى قول ابن كلاب؛ ولهذا أمر أحمد بهجره، وكان أحمد يحذر عن ابن كلاب وأتباعه"[١٩].

ثانياً: أن الاعتقاد الذي كتبه أبو الفضل التميمي لا يمثّل عقيدة الإمام أحمد؛ لأنّها على طريقة ابن كلاب ومن سلك سبيله كأبي الحسن الأشعري.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأبو الحسن الأشعري لمّا رجع عن مذهب المعتزلة سلك طريقة ابن كلاب ومال إلى أهل السنة والحديث وانتسب إلى الإمام أحمد كما ذكر ذلك في كتبه..، وكان القدماء من أصحاب أحمد كأبي بكر عبدالعزيز وأبي الحسن التميمي وأمثالهما يذكرونه في كتبهم على طريق ذكر الموافق للسنة في الجملة ويذكرون ما ذكره من تناقض المعتزلة، وكان بين التميميين وبين القاضي أبو بكر وأمثاله من الائتلاف والتواصل ما هو معروف، وكان القاضي أبو بكرٍ يكتب أحياناً في أجوبته في المسائل محمد بن الطيب الحنبلي، ويكتب أيضاً الأشعري؛ ولهذا توجد أقوال التميميين مقاربةً لأقواله وأقوال أمثاله المتبعين لطريقة ابن كلاب، وعلى العقيدة التي صنفها أبو الفضل التميمي اعتمد أبو بكر البيهقي في الكتاب الذي صنفه في مناقب الإمام أحمد لمّا أراد أن يذكر عقيدته، وهذا بخلاف أبي بكر عبدالعزيز وأبي عبدالله بن بطة وأبي عبدالله بن حامد وأمثالهم فإنهم مخالفون لأصل قول الكلابية "[٢٠].

وقال أيضاً: "وأمّا التميميون كأبي الحسن وابن أبي الفضل وابن رزق الله فهم أبعد عن الإثبات وأقرب إلى موافقة غيرهم وألين لهم؛ ولهذا تتبعهم الصوفية ويميل إليهم فضلاء الأشعرية كالباقلاني والبيهقي فإنّ عقيدة أحمد التي كتبها أبو الفضل هي التي اعتمدها البيهقي"[٢١].

---

(١٩) درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٢) .

(٢٠) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٤١) .

(٢١) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٣) .

ثالثاً: أنّ أبا الفضل التميمي يذكر اعتقاد الإمام أحمد بحسب فهمه ولم يذكر ألفاظ الإمام أحمد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ولهذا لما كان أبو الحسن الأشعري وأصحابه منتسبين إلى السنة والجماعة كان منتحلاً للإمام أحمد ذاكراً أنّه مقتدٍ به متبع سبيله..وكان من أعظم المائلين إليهم التميميون أبو الحسن التميمي وابنه وابن ابنه ونحوهم وكان بين أبي الحسن التميمي وبين القاضي أبي بكر بن الباقلاني من المودة والصحبة ما هو معروف مشهور؛ ولهذا اعتمد الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه الذي صنّفه في مناقب الإمام أحمد لما ذكر اعتقاده اعتمد على ما نقله من كلام أبي الفضل عبدالواحد بن أبي الحسن التميمي، وله في هذا الباب مصنف ذكر فيه من اعتقاد أحمد ما فهمه ولم يذكر فيه ألفاظه وإنّما ذكر جمل الاعتقاد بلفظ نفسه، وجعل يقول وكان أبو عبدالله وهو بمنزلة من يصنّف كتاباً في الفقه على رأي بعض الأئمّة ويذكر مذهبه بحسب ما فهمه ورآه وإن كان غيره بمذهب ذلك الإمام أعلم منه بألفاظه وأفهم لمقاصده"[(٢٢)].

ثالثاً: سأذكر بعض النماذج من كتاب العين والأثر تدلّ على ذلك إجمالاً، منها:

١-قال: "فتجب معرفة الله تعالى شرعاً. وقد ورد في الشرع: النظر في الوجود، والموجود على كلّ مكلّف قادر. وهو أول واجبٍ له تعالى"[(٢٣)].

٢-وقال أيضاً: "ويجب الجزم بأنّه تعالى: واحد لا يتجزّأ، ولا ينقسم؛ لأنّه أحدُ لا من عددٍ فردٍ صمد"[(٢٤)].

فأين نصّ الإمام أحمد على هذه الألفاظ: لا يتجزّأ ولا ينقسم ولا من عددٍ؟!

(٢٢) مجموع الفتاوى (٤/ ١٦٧).

(٢٣) العين والأثر ص١٥٩.

(٢٤) المصدر السابق ص١٦٣.

٣- وقال عن علم الله: "وبأنّه عالم بعلمٍ واحدٍ قديم، باقٍ، ذاتيّ، محيط بكلّ معلومٍ كلّيّ أو جزئي على ما هو عليه"[٢٥]. فهنا ذكر العلم وفسّره بهذا التفسير الكلامي الأشعري، وسيأتي تفصيل ذلك لاحقاً بإذن الله.

٤-وقال في نفيه عن الله الألفاظ المجملة والمصطلحات الحادثة: "ويجب الجزم بأنّ الله تعالى ليس بجوهرٍ ولا جسمٍ ولا عرضٍ، ولا تحلّه الحوادث..."[٢٦].

٥-ذكر أنّ طوائف أهل السنة ثلاثة: أشاعرة، وحنابلة، وماتريدية[٢٧].

وسيأتي تفصيل ذلك لاحقاً بإذن الله.

ترجمة عثمان بن قائد مع تعريفٍ موجز بكتابه: "نجاة الخلف في اعتقاد السلف".

هو عثمان بن أحمد بن سعيد بن عثمان بن قائد، النجدي مولداً، الدمشقي رحلةً، القاهري مسكناً ومدفناً.

ولد في العيينة من قرى نجد، ونشأ بها، وأخذ الفقه عن الشيخ عبدالله بن ذهلان (ت: ١٠٩٩هـ) وهو ابن عمته، وأخذ عن غيره.

رحلاته:

رحل إلى دمشق، فأخذ عن علمائها الفقه والأصول والنحو وغيرها، وقرأ على مفتي الحنابلة بدمشق/ أبي المواهب محمد بن عبدالباقي (ت: ١١٢٦هـ)، وفي القاهرة، أخذ عن جماعةٍ من علمائها، واختصّ بشيخ المذهب فيها العلامة محمد بن أحمد الخلوتي (١٠٨٨هـ) فأخذ عنه دقائق الفقه وعدّة فنون، وزاد انتفاعه به جداً، وأطلق عليه لقب المحقق، واشتهر في مصر ونواحيها، وقصد بالأسئلة والاستفتاء سنين عديدة.

(٢٥) المصدر السابق ص١٦٨.

(٢٦) المصدر السابق ص١٨٤.

(٢٧) المصدر السابق ص٢٦٥.

وقد أجازه الخلوتي إجازةً تفيد إعجابه بتلميذه. ومن شيوخه: ابن العماد الحنبلي (ت: ١٠٨٩هـ) صاحب الشذرات.

مؤلفاته:

١-حاشية على منتهى الإرادات. مطبوعة، قال عنها ابن حميد: "نفيسة مفيدة، جرّدها من هوامش نسخته، تلميذه ابن عوض النابلسي، فجاءت في مجلدٍ ضخم".

٢-هداية الراغب شرح عمدة الطالب، قال عنه ابن حميد: "حرّره تحريراً نفيساً، فصار من أنفس كتب المذهب".

٣-نجاة الخلف في اعتقاد السلف، وهو الكتاب الذي سيذكر في الدراسة بإذن الله.

٤-كشف الضو عن معنى لو، وهو مطبوع.

٥-قطع النزاع في أحكام الرضاع. وهو مطبوع. [٢٨].

أمّا كتابه: "نجاة الخلف في اعتقاد السلف":فقد رتّبه على مقدمةٍ، وثلاثة فصول، وخاتمةٍ.

أمّا المقدمة: فتكلّم فيها عن معرفة الله تعالى.

ومن المآخذ عليه فيها إجمالاً ما يلي:

١-أنّ معرفة الله جلّ وعلا تجب بالنظر في الوجود والموجود، وهو أول واجبٍ على المكلّف. [٢٩]

٢-نفي الألفاظ المجملة والمصطلحات الحادثة عن الله؛ كالجوهر والجسم والعرض وغيرها من الألفاظ. [٣٠]

٣-حصره للكفر بالجحود[٣١].

---

(٢٨) انظر في ترجمته: السحب الوابلة (٢/ ٦٩٧) ، المدخل لابن بدران (ص٢٢٦-٢٢٨) .

(٢٩) نجاة الخلف ص٧١-٧٢.

(٣٠) المصدر السابق ص ٧٢-٧٣.

(٣١) المصدر السابق ص٧٥.

٤-يجيز الاستثناء لا على الشكّ في الحال، بل في المآل[٣٢].

٥-الله كان ولا مكان ثمّ خلق المكان وهو ما عليه قبل خلق المكان[٣٣].

٦-الكلام حقيقة الأصوات والحروف، وإن سمّي به "المعنى النفسي"[٣٤].

وغير ذلك من المآخذ التي سنتحدث عنها تفصيلاً بمشيئة الله.

أقول: يظهر تأثر عثمان بن قائد بمتأخّري الأشاعرة فيما قرّره من تلك العقائد الباطلة.

---

(٣٢) المصدر السابق ص٧٦.

(٣٣) المصدر السابق ص٧٣.

(٣٤) المصدر السابق ص٩٥.

الفصل الأول
نظرية المعرفة وأول واجب على المكلف

ذهب عامّة السلف -رحمهم الله إلى أنّ معرفة الله في الأصل فطرية ضرورية(٣٥)، والاكتساب والنظر طارئان عليها؛ إذ قد يعرض للفطرة ما يفسدها فتحتاج حينئذٍ إلى الاكتساب والنظر.

والمراد بالنظر الذي قد يحتاج إليه في تقريرها هو مطلق النظر لا النظر العقلي الذي أوجبه المتكلمون.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير ذلك: "الصحيح أنّها فطرية..ولكن قد يعرض للفطرة ما يفسدها، فتحتاج حينئذٍ إلى النظر، فهي في الأصل ضرورية، وقد تكون نظرية، ثمّ المعرفة الواجبة لا تتعلّق بنظرٍ خاص، بل قد تحصل ضروريةً"(٣٦).

والأدلة على ذلك متظافرة من الكتاب والسنة والفطرة والعقل.

☜ **أمّا الكتاب**: فقوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠].

وقد أجمع المفسرون من السلف على أنّ المراد بفطرة الله في الآية دين الإسلام، ودين الإسلام متضمّن لمعرفة الله تعالى والإقرار به(٣٧).

☜ **ومن السنة**: قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ما من مولودٍ إلاّ ويولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمةً جمعاء، هل تحسّون فيها من جدعاء". ثمّ يقول أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ راوي الحديث: "فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل

---

(٣٥) انظر: درء التعارض (٣/ ١٢٦) ، (٨/ ٤٤٤-٤٤٩، ٥٣٢-٥٣٣) ، مجموع الفتاوى (١/ ٤٨-٤٩) ، مفتاح دار السعادة (١/ ٢٨٠) ، أضواء البيان للشنقيطي (٣/ ٤١٠) .

(٣٦) مجموعة الرسائل الكبرى (٢/ ٣٤١) .

(٣٧) انظر: التمهيد لابن عبدالبر (١٨/ ٧٢) ، درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٣٦٧) .

لخلق الله ذلك الدين القيم"[٣٨].

فالحديث دلّ على أنّ كلّ مولودٍ يولد على الفطرة، والفطرة هي الإسلام، والإسلام متضمّن لمعرفة الله والإقرار به.

☜ وأمّا الفطرة: فإنّ الخلق كلّهم مؤمنهم وكافرهم يلجؤون إلى الله تعالى حال الشدة والكرب، وذلك يدلّ على أنّ الخلق كلّهم على اختلاف أديانهم مفطورون على معرفة الله والإقرار به[٣٩].

☜ وأمّا العقل: فمن المعلوم أنّ كلّ نفسٍ قابلةٍ للعلم وإرادة الحق، ومعلوم أنّ مجرّد التعليم والتحضيض لا يوجب العلم والإرادة، لولا أنّ في النفس قوةً تقبل ذلك، وإلاّ فلو علّم أحد البهائم والجمادات وحضّها، لم يحصل لها ما يحصل لبني آم مع أنّ السبب في الموضعين واحد، فعلم أنّ ذلك لاختلاف القوابل.

ومعلوم أنّ إقرار النفس بالخالق ممكن من غير سببٍ منفصلٍ من خارجها، وتكون الذات كافيةً في ذلك، فإذا كان المقتضي لذلك قائماً في النفس وقدّر عدم المعارض، فإنّ المقتضي السالم يوجب مقتضاه، فعلم أنّ الفطرة السليمة إذا لم يحصل لها ما يفسدها كانت مقرّةً بالخالق عابدةً له[٤٠].

أقول: ذهب بعض متأخري الحنابلة إلى أنّ معرفة الله تجب شرعاً بالنظر. وهي أول واجبٍ على المكلّف.

قال ابن بلبان: "فتجب معرفة الله -تعالى- شرعاً بالنظر في الوجود والموجود، على كلّ مكلّفٍ قادر.

وهي أول واجبٍ له تعالى"[٤١].

---

(٣٨) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلّى عليه؟(١/ ٤٠٣) برقم (١٣٥٨) ، ومسلم في كتاب القدر(٤/ ٢٠٤٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣٩) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٥٣٢-٥٣٣) .

(٤٠) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٤٦١) .

(٤١) مختصر نهاية المبتدئين (ص٦٩) .

وقال عبدالباقي المواهبي: "تجب معرفة الله تعالىٰ شرعاً. وقد ورد في الشرع: النظر في الوجود، والموجود علىٰ كلّ مكلّفٍ قادر. وهو أول واجبٍ له تعالىٰ"[٤٢].

وقال عثمان بن قائد: "تجب معرفة الله شرعاً بالنظر في الوجود والموجود، علىٰ كلّ مكلّفٍ قادر، وهو أول واجبٍ له تعالىٰ"[٤٣].

قلت: وهذا يخالف صراحةً ما عليه الإمام أحمد، فهو يرىٰ أنّ معرفة الله فطرية ضرورية، وأنّ كلّ مولودٍ مفطور علىٰ معرفة الله والإسلام له، ووردت عنه عدّة روايات تعود إلىٰ معنيين:

❶ **المعنى الأول: أنّ الفطرة هي الإسلام.**

قال الخلال: "أخبرني عبدالملك بن عبدالحميد، قال: الفطرة الأولىٰ التي فطر الله عَزَّ وَجَلّ عليها.

قلت له أنا: فما الفطرة الأولىٰ، هي الدين. قال: نعم"[٤٤].

وهذا نص صريح من الإمام أحمد في أنّ الفطرة الإسلام وبذلك تكون معرفة الله فطرية ضرورية.

"ويؤيد ما تقدم أنّ الإمام أحمد أفتىٰ في أطفال المشركين والكفار إذا سبوا من غير آبائهم أو مات آباؤهم وأمهاتهم أنهم مسلمون ويحتجّ بحديث الفطرة"[٤٥].

وأكّد مراد الإمام أحمد بالفطرة :بأنّها الإسلام شيخ الإسلام ابن تيمية قائلاً: "إنّ الكافر إذا مات أبواه أو أحدهما حكم بإسلامه، واستدلّ بهذا الحديث: "كلّ مولودٍ يولد علىٰ الفطرة.."فدلّ علىٰ أنه فسّر الحديث بأنه يولد علىٰ فطرة الإسلام"[٤٦].

(٤٢) العين والأثر (ص١٥٧) .

(٤٣) نجاة الخلف (ص٧١-٧٢) .

(٤٤) السنة للخلال (١/ ٤٤٦) .

(٤٥) المسائل التي نسبها المتكلمون إلىٰ الأئمة الأربعة في أصول الدين للحميدي (ص١٢٧-١٢٨) ، وانظر: السنة للخلال (١/ ٤٤٦) برقم (٨٧٠) .

(٤٦) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٣٦١) .

❷ **المعنى الثاني: أنّ الفطرة هي ما سبق في الكتاب من الشقاء والسعادة.**

وقد جاء هذا المعنى عن الإمام أحمد، ففي السنة للخلال: من رواية حنبل بن إسحاق عن أحمد أنّه قال: "الفطرة التي فطر الله عليها العباد من الشقاء والسعادة"(٤٧).

ولكنّ هذا المعنى تركه الإمام أحمد ورجع عنه إلى القول بأنّ الفطرة هي الإسلام.

فقد نقل ابن عبدالبر عن محمد بن نصر المروزي أنّه قال: "ولقد كان أحمد بن حنبل يذهب إلى هذا القول ثمّ تركه"(٤٨).

✍ **أقول**: فالإمام أحمد يقرّر صراحةً بأنّ معرفة الله والإقرار به معرفة فطرية مركوزة في فطر الخلق، فكلّ مولود من بني آدم يولد على هذه المعرفة الفطرية.

ويتبين مخالفة بعض متأخري الحنابلة لإمام المذهب نفسه في هذه المسألة.

وأمّا القول: بأنّ أول واجب على المكلف النظر فهو مخالف للكتاب والسنة والإجماع.

فقد دلّت على أنّ أول واجبٍ على المكلّف الشهادتان، لا المعرفة ولا النظر.

☜ **فمن الكتاب**: قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[النحل: ٣٦].

وقوله سبحانه:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

فالرسل جميعاً أول ما دعوا أقوامهم إلى إخلاص العبادة لله وحده دون ما سواه، وهذا يدلّ على أنّه أول واجبٍ على المكلّفين.

☜ **ومن السنّة**: قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وصيته لمعاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حين بعثه إلى اليمن: "إنك تقدم على قومٍ من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله.."(٤٩).

(٤٧) السنة للخلال (١/ ٤٤٧) برقم (٨٧٠).

(٤٨) التمهيد (١٨/ ٧٩).

(٤٩) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا (١/ ٤٤٦-٤٤٧) برقم (١٤٩٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان (١/ ٥٠) برقم (٢٩) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

☜ **وأمّا الإجماع**: فقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على أنّ أول ما يؤمر به العبد إفراد الله بالعبادة.كما أجمعوا على أنّ الكافر إذا قال لا إله إلاّ الله محمد رسول الله فقد دخل في الإسلام، وهذا يدلّ على أنّ ذلك أول الواجبات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "السلف والأئمة متفقون على أنّ أول ما يؤمر به العباد الشهادتان، ومتفقون على أنّ من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقب البلوغ"(٥٠).

وقال ابن المنذر(٥١): "أجمع كلّ من أحفظ عنه من أهل العلم أنّ الكافر إذا قال أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله وأنّ كلّ ما جاء به حق، وأبرأ إلى الله من كلّ دينٍ يخالف الإسلام، وهو بالغ صحيح يعقل أنه مسلم"(٥٢).

✍ **أقول**: ما ذكره بعض متأخري الحنابلة من وجوب معرفة الله شرعاً..النظر في الوجود والموجود، وهو أول واجبٍ على المكلّف هو بعينهما عليه الأشاعرة. (٥٣).

فقد جاء في الإرشاد ما نصّه: "النظر الموصل إلى المعارف واجب...فإن قيل: ما الدليل على وجوب النظر والاستدلال من جهة الشرع؟قلنا: أجمعت الأمّة على وجوب معرفة الباري تعالى، واستبان بالعقل أنّه لا يتأتّى الوصول إلى اكتساب المعارف إلاّ بالنظر، وما لا يتوصّل إلى الواجب إلاّ به فهو واجب"(٥٤).

وفي شرح جوهرة التوحيد المسمّى بهداية المريد، قال في شرح قول صاحب الجوهرة:

---

(٥٠) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ١١-١٢).

(٥١) هو محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري الشافعي، أبو بكر، إمام محدث فقيه، له مصنفات منها: الأوسط، والإجماع، وغيرها، توفي سنة ٣٠٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٩٠).

(٥٢) الإجماع ص١٥٤.

(٥٣) انظر في ذكر أقوال الأشاعرة في وجوب المعرفة حاشية الدسوقي على شرح أم البراهين (ص٨٣) حيث حكى ثلاثة أقوال في وجوب المعرفة: ١-واجبة وجوب الفروع سواء كان فيه أهلية للنظر أم لا، فمن قلّد كان مؤمناً عاصياً. ٢-واجبة وجوب الفروع إن كان فيه أهلية للنظر، فمن قلّد وعنده أهلية فهو مؤمن عاصٍ، وهذا القول هو المعتمد (عند الدسوقي) ٣-واجبة وجوب الأصول، فمن قلّد فهو كافر".

(٥٤) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني (ص٦٤-٦٥).

واجزم بأنّ أولاً ممّا يجب معرفة وفيه خلف منتصب.

"وجملة الأقوال في أول الواجبات اثنا عشر قولاً:

أولها: ما قاله الأشعري -إمام هذا الفنّ-إنّه المعرفة...ثمّ ذكر بقية الأقوال وقال بعد ذلك: "والأصحّ:

- أنّ أول واجبٍ مقصداً: المعرفة.
- وأول واجبٍ وسيلةً قريبةً: النظر.
- ووسيلةً بعيدةً: القصد إلى النظر، وبهذا يجمع بين الأقوال الثلاثة"(٥٥).

❁ ❁ ❁

(٥٥) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد للبيجوري ص١١٦-١٢٠).

الفصل الثاني
استعمال الألفاظ المجملة والمصطلحات الحادثة

<u>معنى الألفاظ المجملة</u>: هي التي لم يرد بها الكتاب والسنّة، ولا اتفق السلف على نفيها ولا إثباتها، وتحتمل حقّاً وباطلاً. كالجهة والحيّز والجسم والعرض والجوهر والمكان وغيرها من الألفاظ المجملة والمصطلحات الحادثة.

وقد استعمل ابن بلبان وعبدالباقي المواهبي وعثمان بن قائد الألفاظ المجملة والمصطلحات الحادثة.

قال ابن بلبان: "ويجب الجزم بأنّ الله تعالى ليس بجوهرٍ ولا جسمٍ ولا عرض، لا تحلّه الحوادث، ولا يحلّ في حادث، ولا ينحصر فيه.

فمن اعتقد أو قال: إنّ الله بذاته في كلّ مكانٍ، أوفي مكان؛ فكافر. بل يجب الجزم بأنّه سبحانه: بائن من خلقه، فالله تعالى كان ولا مكان، ثمّ خلق المكان، وهو كما كان قبل خلق المكان"(٥٦).

وقال عبدالباقي المواهبي: "ويجب الجزم بأنّ الله تعالى ليس بجوهرٍ ولا جسمٍ، ولا عرضٍ، ولا تحلّه الحوادث، ولا يحلّ في حادث، ولا ينحصر فيه، فمن اعتقد أو قال: أنّ الله تعالى بذاته في كلّ مكان أوفي مكان فكافر.

بل يجب الجزم بأنه تعالى بائن من خلقه، فكان ولا مكان..ثمّ خلق المكان"(٥٧).

وقال عثمان بن قائد: "ويجب الجزم..بأنه سبحانه ليس بجوهرٍ ولا جسمٍ ولا عرضٍ، لا تحلّه الحوادث، ولا يحلّ في حادثٍ ولا ينحصر فيه، فمن اعتقد أو قال بأنّ الله تعالى بذاته في كلّ مكانٍ أوفي مكانٍ فكافر.

---

(٥٦) مختصر نهاية المبتدئين (ص٧٣).

(٥٧) العين والأثر (ص١٨٤-١٨٧).

بل يجب الجزم بأنه سبحانه بائن من خلقه. فالله تعالى كان ولا مكان، ثمّ خلق المكان وهو على ما عليه كان قبل خلق المكان"[٥٨]. أقول: وعند مقارنة أقوالهم بعقيدة الإمام أحمد نجده يخالف ذلك تمام المخالفة، ويلتزم بالألفاظ الشرعية الواردة في باب الصفات.

قال الإمام أحمد: "لا يوصف الله إلاّ بما وصف به نفسه، أو وصفه رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث"[٥٩].

وهذا صريح في أنّ باب الصفات توقيفي لا يتجاوز فيه النص، ويجب السكوت عمّا سكت الله عنه ورسوله.

وقد أكثر المتكلّمون من إحداث المصطلحات البدعية والتعبير بالألفاظ المجملة؛ لترويج باطلهم والتشغيب بها على أهل الحق، حتى أصبح ذلك من سماتهم.

يقول الإمام أحمد في وصفهم: "يتكلّمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهّال الناس بما يشبّهون عليهم، نعوذ بالله من فتن المضلّين"[٦٠].

وقد علّق شيخ الإسلام ابن تيمية على كلام الإمام أحمد مبيناً مراده قائلاً: " وهذا الكلام المتشابه الذي يخدعون به جهّال الناس، هو الذي يتضمّن الألفاظ المتشابهة المجملة التي يعارضون بها نصوص الكتاب والسنّة، وتلك الألفاظ تكون موجودةً مستعملةً في الكتاب والسنّة وكلام الناس، لكن بمعانٍ أُخر غير المعاني التي قصدوها هم بها، فيقصدون هم بها معاني أُخر، فيحصل الاشتباه والإجمال، كلفظ العقل والعاقل؛ فإنّ لفظ العقل في لغة المسلمين إنّما يدلّ على عرضٍ، إمّا مصدر عقل يعقل عقلاً، وإمّا قوةً يكون بها العقل وهي الغريزة، وهم يريدون بذلك جوهراً مجرّداً قائماً بنفسه.

---

(٥٨) نجاة الخلف (ص٧٢-٧٣).

(٥٩) الفتوى الحموية الكبرى (ص٩٢).

(٦٠) الرد على الزنادقة والجهمية (ص ١٧٢-١٧٤).

وكذلك لفظ: الجوهر، والعرض، والجسم، والتحيّز، والجهة، والتركيب، والجزء، والافتقار...بل ولفظ: الواحد في التوحيد، بل ولفظ الحدوث والقدم، بل ولفظ: الواجب والممكن وغير ذلك من الألفاظ "(٦١).

وقال أيضاً: "وأحمد وأمثاله من السلف كانوا يعلمون أنّ هذه الألفاظ التي ابتدعها المتكلّمون كلفظ الجسم وغيره ينفيها قوم؛ ليتوصّلوا بنفيها إلى نفي ما أثبته الله عَزَّ وَجَلّ ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...طريقة الجهمية: من المعتزلة وغيرهم :ينفون الجسم حتى يتوهّم المسلمون أنّ قصدهم التنزيه، ومقصودهم بذلك أنّ الله لا يرى في الآخرة، وأنّه لم يتكلّم بالقرآن ولا غيره، بل خلق كلاماً في غيره، وأنه ليس له علم يقوم به، ولا قدرة، ولا حياة، ولا غير ذلك من الصفات"(٦٢).

✍ **أقول**: وممّن استعمل الألفاظ المجملة في نفي الصفات: أبو المعالي الجويني -من الأشاعرة- حيث قال: "فإن قيل: هلاّ أجريتم الآية -يعني: قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: آية: ٥] على ظاهرها من غير تعرّضٍ للتأويل، مصيراً إلى أنها من المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلاّ الله. قلنا: إن رام السائل إجراء الاستواء على ما يُنبئ عنه في ظاهر اللسان، وهو: الاستقرار، فهو التزام للتجسيم، وإن تشكّك في ذلك كان في حكم المصمّم على اعتقاد التجسيم"(٦٣).

وقال أيضاً: "ومذهب أهل الحق قاطبةً أنّ الله سبحانه وتعالى يتعالى عن التحيّز والتخصيص بالجهات"(٦٤).

فهنا استعمل لفظ: "الجسم والحيّز والجهة" لنفي علو الله على خلقه واستوائه على عرشه.

(٦١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٢٢).

(٦٢) مجموع الفتاوى (١٧/ ٣٠٠-٣٠١).

(٦٣) الإرشاد للجويني (ص٩٥).

(٦٤) المصدر السابق (ص٩٣).

وقال الإمام أحمد مؤكّداً عدم تجاوز القرآن والحديث في باب الأسماء والصفات: "نعبد الله بصفاته كما وصف به نفسه، فقد أجمل الصفة لنفسه، ولا نتعدّىٰ القرآن والحديث، فنقول كما قال، ونصفه كما وصف نفسه، ولا نتعدّىٰ ذلك"(٦٥).

وفي السنة للخلال: "عن أبي طالب قال: قلت لأبي عبدالله: قال أبو إسحاق بن أبي الليث: الذين يصفون ربهم يقول :" هو السميع البصير"، قال: عافاه الله، كأنّه أعجبه قوله.

قلت: ما تقول أنت؟

قال: أقول كما قال النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووصف، ولا يجاوز الحديث، قال: "بين أصبعين"، وقال: "خلق الله آدم"، وكما جاء في الحديث"(٦٦).

وقال الخلال أيضاً: "وقال حنبل في موضعٍ آخر: قال –يعني أبو عبدالله-: "قال إبراهيم لأبيه: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾[مريم: ٤٢]، فثبت أنّ الله سميع بصير، صفاته منه لا نتعدّىٰ القرآن والحديث "(٦٧)،فهذا صريح في أنّ الإمام أحمد لا يتجاوز القرآن والحديث في باب الصفات.

فـ"التعبير عن حقائق الإيمان بعبارات القرآن أولى من التعبير عنها بغيرها، فإنّ ألفاظ القرآن يجب الإيمان بها، وهي تنزيل من حكيمٍ حميد، والأمّة متفقة عليها، ويجب الإقرار بمضمونها قبل أن تفهم، وفيها من الحكم والمعاني ما لا تنقضي عجائبه. والألفاظ المحدثة فيها إجمال واشتباه ونزاع"(٦٨).

والواجب تجاه الألفاظ المجملة عدم إطلاقها نفياً أو إثباتاً من جهة اللفظ؛ لأنّ النصوص سكتت عنها، وأمّا معناها فيستفصل عن مراد قائلها بها، فإن كان قد أراد بالنفي والإثبات معنىً صحيحاً موافقاً لما أخبر به الرسول، صوّب المعنىٰ الذي قصده بلفظه، ولكن

(٦٥) الإبانة الكبرىٰ لابن بطة (٢/ ٥٢٧) .

(٦٦) السنة للخلال (٢/ ٢٦٩) .

(٦٧) السنة للخلال (٢/ ٢٧٢) .

(٦٨) النبوات لابن تيمية (٢/ ٨٧٦) .

ينبغي أن يعبّر عنه بألفاظ النصوص، لا يعدل إلى هذه الألفاظ المجملة المبتدعة إلاّ عند الحاجة، مع قرائن تبين المراد بها، والحاجة مثل أن يكون الخطاب مع من لا يتمّ المقصود معه إن لم يخاطب بها، وأمّا إن أريد بها معنىً باطل، نفي ذلك المعنى(٦٩).

وأما عبارة: "لا تحلّه الحوادث" فهي من الألفاظ المجملة التي تحتمل حقّاً وباطلاً مع التوقف في لفظها والاستفصال عن معناها، فإن أريد به: أنّ الله جلّ وعلا لا تحصره الحوادث أي: المخلوقات ولا تحلّ فيه فهو حقّ، وإن أريد به: نفي الصفات الفعلية الاختيارية عن الله فهو باطل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والكلابية يقولون: هو متصف بالصفات التي ليس له عليها قدرة، ولا تكون بمشيئته، فأمّا ما يكون بمشيئته فإنّه حادث، والرب تعالى لا تقوم به الحوادث. ويترجمون الصفات الاختيارية بمسألة حلول الحوادث؛ فإنّه إذا كلّم موسى بن عمران بمشيئته وقدرته، وناداه حين أتاه بقدرته ومشيئته، كان ذلك النداء والكلام حادثاً. قالوا: فلو اتصف الربّ به لقامت به الحوادث"(٧٠).

✍ **أقول**: وكذلك لفظ "المكان"من الألفاظ المجملة التي تحتمل حقاً وباطلاً فيتوقف في لفظها ويستفصل عن معناها، فأهل الكلام يريدون به نفي العلو والفوقية لله جلّ وعلا فوق جميع مخلوقاته.

قال الجويني: "فإذا ثبت تقدس الباري عن التحيّز والاختصاص بالجهات فيُرتّب على ذلك تعاليه عن الاختصاص بمكانٍ"(٧١).

✍ **أقول**: وأما عبارة: "الله كان ولا مكان ثمّ خلق المكان وهو كما كان قبل خلق المكان": فهو تصريح بعقيدة الجهمية النفاة لعلو الله وفوقيته على جميع مخلوقاته واستوائه على عرشه، وذلك أنّ نفاة العلو من الجهمية ومن تبعهم من الأشاعرة على قسمين:

---

(٦٩) انظر: منهاج السنة (٢/ ٥٥٤).

(٧٠) رسالة في الصفات الاختيارية لابن تيمية ضمن جامع الرسائل (٢/ ٧).

(٧١) لمع الأدلة للجويني (ص١٠٨).

☜ **قسم يقول**: إنّ الله لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا أمام ولا خلف ولا داخل العالم ولا خارجه[72]، وهذا عدم محض. فليس له وجود، فعلى هذا الوصف فهوإذاً ليس له مكان أصلاً، إذ لا وجود له.

☜ **وقسم يقول**: إنّه في كلّ مكانٍ، فيلزم أنّه في كلّ مكانٍ قبل خلق المكان، فهو إذاً في هذا الكون كلّه قبل خلقه له، وهذا قول غلاة الصوفية أصحاب وحدة الوجود[73]؛ إذ معناه: كان في الأمكنة كلّها قبل خلقها.

فـ "قصارى ما يقوله المتحذلق منهم :"إنّ الله تعالى كان ولا مكان، ثمّ خلق المكان، وهو الآن على ما كان قبل المكان". فماذا يعني هذا المحرّف بالمكان الذي كان الله ولم يكن؟!

هل يعني به تلك الأمكنة الوجودية التي هي داخل محيط العالم؟!

فهذه أمكنة حادثة؛ ونحن لا نقول بوجود الله في شيءٍ منها؛ إذ لا يحصره ولا يحيط به شيء من مخلوقاته.

وأمّا إذا أراد بها المكان العدمي، الذي هو خلاء محض لا وجود فيه؛ فهذا لا يقال: إنّه لم يكن، ثمّ خلق؛ إذ لا يتعلّق به الخلق، فإنّه أمر عدمي.

فإذا قيل: إنّ الله في مكان بهذا المعنى؛ كما دلّت عليه الآيات والأحاديث؛ فأيّ محذورٍ في هذا؟!.

✓ بل الحقّ أن يقال: كان الله ولم يكن شيء قبله، ثمّ خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وكان عرشه على الماء، ثمّ استوى على العرش، وثمّ هنا للترتيب الزماني لا لمجرّد العطف"[74].

وبهذا يتبين مخالفة ابن بلبان وعبدالباقي المواهبي وعثمان بن قائد لعقيدة الإمام أحمد في هذه المسألة.

❖ ❖ ❖

---

(٧٢) انظر: تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد للبيجوري (ص٢٨٥).

(٧٣) وحدة الوجود تعني: أنّ الله والعالم شيء واحد، فلا يوجد اثنينية لا خالق ولا مخلوق، فالإله هو الموجود الحق. أمّا ما عداه فهي أعراض ومظاهر أو مجرد تجلّيات مستمدة منه". انظر: عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية د. أحمد القصير (ص٢٤).

(٧٤) شرح العقيدة الواسطية د. محمد خليل هراس (ص١٤١-١٤٢).

الفصل الثالث
الصفات الفعلية الاختيارية والموقف من التفويض

الصفات الاختيارية: "هي الأمور التي يتصف بها الرب عَزَّ وَجَلّ فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته، مثل كلامه وسمعه، وبصره، وإرادته، ومحبته، ورضاه، ورحمته، وغضبه، وسخطه، ومثل استوائه، ومجيئه، وإتيانه، ونزوله"[٧٥].

"فصفات الأفعال نوعها قديم لم يزل ولا يزال، وأفرادها وجزئياتها لا تزال تتجدد كلّ وقتٍ بحسب إرادته وحكمته التي يحمد عليها"[٧٦].

أقول: وبالنظر لما قرّره ابن بلبان وعبدالباقي المواهبي وعثمان بن قائد فإنّنا نجدهم يخالفون ما عليه أهل السنة ،ومنهم إمام المذهب أحمد بن حنبل.

قال ابن بلبان: "وبأنه –أي الله–عالم بعلمٍ واحدٍ قديمٍ باقٍ ذاتيّ، محيط بكلّ معلومٍ كلّيّ أو جزئيّ على ما هو عليه فلا يتجدد علمه تعالى بتجدد المعلومات، ولا يتعدد بتعددها..وبأنّه تعالى على كلّ شيءٍ قدير بقدرةٍ واحدةٍ، وجوديةٍ، قديمةٍ، باقيةٍ، ذاتيةٍ،..وبأنه تعالى مريد بإرادةٍ واحدةٍ، ذاتيةٍ، قديمةٍ، باقيةٍ، وبأنّه تعالى سميع بصير بسمعٍ وبصرٍ قديمين ذاتيين.. ، وبأنه تعالى قائل ومتكلّم بكلامٍ، قديمٍ، ذاتيّ"[٧٧].

وذكر عبدالباقي المواهبي نفس العبارات التي ذكرها ابن بلبان في أنّ الصفات قديمة ذاتية[٧٨].

وقال عثمان بن قائد: "ويجب الجزم بأنه تعالى واحد أحد، فرد صمد، عالم بعلمٍ، قادر بقدرةٍ، مريد بإرادةٍ، حي بحياةٍ، بصير ببصرٍ، متكلّم بكلامٍ"[٧٩].

---

(٧٥) رسالة في الصفات الاختيارية ضمن جامع الرسائل لابن تيمية (٢/ ٣) .

(٧٦) الأجوبة السعدية عن المسائل الكويتية (ص١٢٩) .

(٧٧) مختصر نهاية المبتدئين (ص٧١-٧٢) .

(٧٨) العين والأثر (ص١٦٨-١٧٢) .

(٧٩) نجاة الخلف (ص٧٢) .

✍ **قلت**: هذا قول الأشاعرة حيث نفوا عن الله جلّ وعلا التجدد في صفاته؛ لأنّهم قرّروا أصلاً باطلاً خالفوا به النصوص وهو: نفي صفات الأفعال الاختيارية المتعلّقة بالمشيئة عن الله جلّ وعلا؛ لئلا تحلّ به الحوادث.

وقد نصّ ابن بلبان وعبدالباقي وعثمان ابن قائد على نفي الحوادث عن الله. (٨٠)

فـ الأشاعرة يرون أنّ الله "يعلم المستقبلات بعلمٍ قديمٍ لازمٍ لذاته، ولا يتجدد له عند وجود المعلومات نعت ولا صفة، وإنّما يتجدد مجرد التعلّق بين العلم والمعلوم"(٨١).

فقد اتفق الأشاعرة على أنّ الله عالم بعلمٍ قديم متعلّق بجميع المعلومات.

قال الآمدي: "مذهب أهل الحق أنّ الباري تعالى عالم بعلمٍ واحد قائم بذاته قديم أزليّ متعلّق بجميع المتعلّقات"(٨٢).

✓ **وأمّا أهل السنة** فيرون: أنّ الله جلّ وعلا علم الأشياء قبل وقوعها، بل كلّ ما أخبر الله به قبل كونه فقد علمه قبل كونه، ويعلم ما سيكون في المستقبل من جهة أنّه أظهر علمه لخلقه؛ كما في قوله تعالى :﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

قال ابن جرير: "فإن قال لنا قائل: أو ما كان الله عالماً بمن يتبع الرسول ممّن ينقلب على عقبيه، إلاّ بعد اتباع المتبع وانقلاب المنقلب على عقبيه، حتى قال: ما فعلنا الذي فعلنا من تحويل القبلة إلاّ لنعلم المتّبع رسول الله من المنقلب على عقبيه؟

✍ **قيل**: إنّ الله جلّ ثناؤه هو العالم بالأشياء كلّها قبل كونها، وليس قوله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ بخبرٍ عن أنّه لم يعلم ذلك إلاّ بعد وجوده.

⇩ فإن قال: فما معنى ذلك؟

---

(٨٠) انظر: مختصر نهاية المبتدين (ص٧٣)، والعين والأثر(ص ١٨٤)

(٨١) رسالة في تحقيق مسألة علم الله لابن تيمية ضمن جامع الرسائل (١/ ١٧٥) .

(٨٢) غاية المرام (ص٧٤) .

✍ **قيل** له: أمّا معناه عندنا فإنّه: وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلاّ ليعلم رسولي وحزبي وأوليائي من يتبع الرسول ممّن ينقلب على عقبيه، فقال جلّ ثناؤه: "إلاّ لنعلم". ومعناه: ليعلم رسولي وأوليائي. إذ كان رسوله وأولياؤه من حزبه"(٨٣).

✓ فالمعنى: "إلاّ لنعلم": علم رؤيةٍ وظهورٍ ومشاهدةٍ، أي: لنرى، ومعلوم أنّ علم ما سيكون ليس كعلم ما كان؛ لأنّ علم الله بالشيء قبل وقوعه علم بأنّه سيقع، ولكن بعد وقوعه علم بأنّه وقع. وهذا العلم هو الذي يترتب عليه المدح والذمّ والثواب والعقاب(٨٤).

فهو سبحانه وتعالى يعلم المستقبلات قبل حدوثها، ويتجدد هذا العلم حين تتجدد أسبابه، وأنّ الله جلّ وعلا لم يزل مريداً بإراداتٍ متعاقبةٍ؛ فنوع العلم والإرادة أزلي، وأمّا علم الشيء المعين الذي يحدث، فهو علم آخر غير العلم الأول ،فهو جلّ وعلا يعلم الشيء كائناً بعد وجوده، مع علمه السابق به قبل وجوده، وأنّ علمه الثاني والأول ليس واحداً(٨٥).

✍ **أقول**: وكذا قول ابن بلبان وعبدالباقي وعثمان بن قائد بالجزم بأنّ الله مريد بإرادةٍ واحدةٍ هو بعينه قول الأشاعرة، فالله عندهم مريد بإرادةٍ قديمةٍ، واحدةٍ، زائدةٍ على الذات(٨٦).

فالإرادة عندهم أزلية قديمة لا تتجدد بناءً على أصلهم في نفي الصفات الاختيارية عن الله جلّ وعلا.

قال الجويني: "مذهب أهل الحقّ، أنّ الباري تعالى مريد بإرادةٍ قديمةٍ"(٨٧).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فأمّا ما يكون بمشيئته فإنّه حادث، والربّ تعالى لا تقوم به الحوادث. ويترجمون الصفات الاختيارية بمسألة حلول الحوادث"(٨٨).

---

(٨٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢/ ٦٤١-٦٤٢).

(٨٤) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ٦٨)، (٨/ ٣٩٦)، الرد على المنطقيين (ص٤٦-٤٨).

(٨٥) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة للدكتور عبدالرحمن المحمود (٣/ ١٠٥٥-١٠٥٨).

(٨٦) انظر: أبكار الأفكار للآمدي (١/ ٢١٥)، تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد (ص١٩٤).

(٨٧) الإرشاد للجويني (ص١٣٩).

(٨٨) رسالة في الصفات الاختيارية ضمن جامع الرسائل (٢/ ٧).

✔ **أمّا أهل السنة**: فيرون أنّ إرادة الله متجددة؛ كما في قوله:﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[يس: ٨٢]، وقوله: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ ﴾ [الإسراء: ١٦].

وقوله:﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤].

وغيرها من الآيات، "فإنّ جوازم الفعل المضارع ونواصبه تخلّصه للاستقبال، "إن"و"أن"، وكذلك "إذا"ظرف لمايستقبل من الزمان. فقوله: "إذاأراد"و"إن شاء الله"، ونحوذلك يقتضي حصول إرادةٍ مستقبلةٍ ومشيئةٍ مستقبلة"[(٨٩)].

وأيضاً: الإرادة عندهم قسمان:

① **كونية**: شاملة لكل ما يقع في الكون من إيمان وكفر وطاعةٍ ومعصية، ولابدّ من وقوعها.

② **وشرعية**: وهي خاصة بما يحبه الله ويرضاه. وهي خاصة بالمؤمن والطائع.فقد تقع وقد لا تقع.

✍ **أقول**: وكذلك القول بأنّ الله سميع بصير بسمعٍ وبصرٍ قديمين ذاتيين، هو ما عليه الأشاعرة بعدم تجدد صفتي السمع والبصر لله، وهو من فروع القول بنفي الصفات الاختيارية عن الله جلّ وعلا.

فقد اتفق الأشاعرة على أنّ السمع والبصر صفتان أزليتان قائمتان بذاته[(٩٠)].

✔ **أمّا أهل السنة**: فعندهم أنّ صفتي السمع والبصر ذاتية وفعلية، فباعتبار اتصاف الله بهما أزلاً ذاتية، وباعتبار تجددهما فعلية.

قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ﴾[المجادلة:١].

أخبر أنه يسمع تحاورهما حين كانت تجادل وتشتكي إلى الله. [(٩١)].

وقال تعالى:﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس: ١٤].

---

(٨٩) رسالة في الصفات الاختيارية ضمن جامع الرسائل (٢/ ١٤) .

(٩٠) انظر: أبكار الأفكار(١/ ٣١٢) ، حاشية الدسوقي على شرح أم البراهين (ص٢٧١) .

(٩١) رسالة في الصفات الاختيارية ضمن جامع الرسائل (٢/ ١٦) .

ولام "كي" تقتضي أنّ ما بعدها متأخّر عن المعلول، فنظره كيف يعملون هو بعد أن جعلهم خلائف[٩٢].

✍ **أقول**: وكذلك القول: بأنّ الله قادر بقدرةٍ واحدةٍ أزليّةٍ وجوديةٍ ذاتيةٍ هو بعينه ما عليه الأشاعرة.

فقد اتفقوا على أنها قدرة واحدة قديمة زائدة على الذات تتعلّق بجميع المقدورات.

جاء في شرح جوهرة التوحيد تعريف القدرة بأنّها: "صفة أزلية، قائمة بذاته تعالى، يتأتّى بها إيجاد كلّ ممكنٍ وإعدامه، على وفق الإرادة"[٩٣].

✓ **أمّا أهل السنة**: فيرون أنّ الله متصف بالقدرة أزلاً ،وهي تتجدد له عند وجود سببها.

✍ **أقول**: وأمّا القول: بأنّه متكلّم بكلامٍ، قديمٍ ذاتيٍ وجودي، لا عدمي؛فهو بعينه ما عليه الأشاعرة.

جاء في شرح أم البراهين ما نصّه: "كلام الله تعالى: القائم بذاته هو صفة أزلية ليس بحرفٍ ولا صوت، ولا يقبل العدم وما في معناه من السكوت، ولا التبعيض، ولا التقديم، ولا التأخير"[٩٤].

وقال الجويني: "مذهب أهل الحق أنّ الباري سبحانه وتعالى متكلّم بكلامٍ أزليّ لا مفتتح لوجوده"[٩٥].

✓**أمّا أهل السنة** فعقيدتهم في كلام الله: أنّ كلام الله أول النوع حادث الآحاد، فهو صفة ذاتية لله باعتبار أصلها؛ فإنّ الله لم يزل متكلّماً، وهي صفة فعلية باعتبار أفرادها، فكلامه تعالى يتجدد، فهو يتكلّم متى شاء إذا شاء[٩٦].

---

(٩٢) رسالة في الصفات الاختيارية ضمن جامع الرسائل (٢/ ١٦) .

(٩٣) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد للبيجوري ص١٩١ .

(٩٤) حاشية الدسوقي على شرح أم البراهين (ص١٧٦) .

(٩٥) الإرشاد (ص١٤٤) .

(٩٦) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٢٩١-٢٩٢) ، مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم (١/ ٢١٣) حيث قال: "وأول النوع أسلم من قديم النوع".

والدليل على ذلك: قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ ﴾ [الأعراف: ١١].فهذا بيّن في أنّه إنّما أمر الملائكة بالسجود بعد خلق آدم، لم يأمرهم في الأزل.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٥٩]. فإنما قال له: كن بعد أن خلقه من تراب لا في الأزل[٩٧].

قلت: وبمقارنة عقيدة الإمام أحمد بكلام ابن بلبان وعبدالباقي المواهبي وعثمان بن قائد نجده يثبت صفات الفعل الاختيارية لله جلّ وعلا خلافاً لما قرّروه.

ففي السنة للخلال: "قال حنبل: وسمعت أبا عبدالله قال:﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤].

فأثبت الكلام لموسى كرامةً منه لموسى، ثمّ قال تعالى يؤكّد كلامه :﴿تَكْلِيمًا ﴾.

قلت لأبي عبدالله: الله يكلّم عبده موسى يوم القيامة؟

قال: نعم، فمن يقضي بين الخلائق إلاّ الله؟!

يكلّم عبده ويسأله، الله متكلّم، لم يزل الله يأمر بما يشاء ويحكم، وليس به عدل ولا مثل، كيف شاء، وأنّى شاء"[٩٨].

وقال الخلال أيضاً: "أخبرني يوسف بن موسى، أنّ أبا عبدالله-يعني أحمد بن حنبل- قيل له: أهل الجنّة ينظرون إلى ربهم عَزَّ وَجَلّ ويكلّمونه ويكلّمهم؟ قال: نعم، ينظر وينظرون إليه، ويكلّمهم ويكلّمونه، كيف شاء وإذا شاء"[٩٩].

وقال الخلال أيضاً: "وقال حنبل في موضعٍ آخر: قال: -أبو عبدالله- فهو(سميع بصير)، بلا حدٍ ولا تقدير، ولا يبلغ الواصفون صفته، وصفاته منه وله، ولا نتعدّىٰ القرآن

(٩٧) رسالة في الصفات الاختيارية ضمن جامع الرسائل (٢/ ١٠-١١) .

(٩٨) السنة للخلال (٢/ ٣٠٤) .

(٩٩) المصدر السابق (٢/ ٣٠٥) .

والحديث، فنقول كما قال، ونصفه كما وصف نفسه تعالى، ولا نتعدّىٰ ذلك...وهو على العرش بلا حدٍّ، كما قال: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

كيف شاء، المشيئة إليه عَزَّ وَجَلّ(١٠٠).

أقول: هذا نص صريح من الإمام أحمد في إثبات أنّ استواء الله على عرشه متعلّق بمشيئته.

وجاء في السنة لعبدالله بن الإمام أحمد قال: سألت أبي عن قومٍ يقولون: لمّا كلّم الله عَزَّ وَجَلّ موسىٰ لم يتكلّم بصوت؟ فقال أبي: بلىٰ، إنّ ربك تكلّم بصوتٍ، هذه الأحاديث نرويها كما جاءت.

وقال أبي: حديث ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إذا تكلّم الله عَزَّ وَجَلّ سُمع له صوت كجرٍّ السلسلة على الصفوان. قال أبي: وهذا الجهمية تنكره(١٠١). أقول: كلام الإمام أحمد صريح في أنّ الله يتكلّم بصوتٍ، وأنّه إذا تكلّم سُمع له صوت كجرّ السلسة على الصفوان؛ ممّا يدلّ على أنّ كلامه جلّ وعلا بمشيئته.

وقال أيضاً-الإمام أحمد-في معرض ردّه على الجهمية الذين أنكروا أنّ الله كلّم موسىٰ: والجوارح إذا شهدت على الكافر فقالوا:﴿لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [فصلت: ٢١].

أتراها أنّها نطقت بجوفٍ، وفمٍ، وشفتين ولسان؟ولكنّ الله أنطقها كيف شاء.

وكذلك الله تكلّم كيف شاء من غير أن يقول بجوفٍ، ولا فمٍ، ولا شفتين، ولا لسان"(١٠٢).

وقال أيضاً: "فلمّا ظهرت عليه الحجّة قال: إنّ الله تعالىٰ قد يتكلّم ولكنّ كلامه مخلوق.

(١٠٠) السنة للخلال (٢/ ٢٧٢).

(١٠١) السنة لعبدالله بن الإمام أحمد (ص٢٤٤-٢٤٥).

(١٠٢) الرد على الزنادقة والجهمية (ص٢٦٨-٢٦٩).

✍ **فقلنا**: وكذلك بنو آدم كلامهم مخلوق، فشبهتم الله بخلقه حين زعمتم أنّ كلامه مخلوق، ففي مذهبكم أنّ الله قد كان في وقتٍ من الأوقات لا يتكلّم حتى خلق التكلّم، وكذلك بنو آدم كانوا لا يتكلّمون حتى خلق لهم كلاماً! فجمعتم بين كفرٍ وتشبيه، فتعالى الله عن هذه الصفة علواً كبيراً.

✍ **بل نقول**: **إنّ الله لم يزل متكلّماً إذا شاء، ولا نقول: إنّه قد كان ولا يتكلّم حتى خلق كلاماً**"(١٠٣).

وقد علّق شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله على كلام الإمام أحمد قائلاً: "فقد بيّن أحمد في هذا الكلام الإنكار على النفاة الذين شبّهوه بالجمادات التي لا تتكلّم ولا تتحرّك..مثل الأصنام المعبودة.

ثمّ قال أحمد: "بل نقول إن الله لم يزل متكلّماً.."فبيّن أنّ الكلام يتعلّق بمشيئته، وأنّه لم يزل متكلّماً إذا شاء، فردّ قول من لا يجعل الكلام متعلّقاً بالمشيئة، كقول الكلابية ومن وافقهم"(١٠٤).

✍ وبهذا يتبين أنّ عقيدة الإمام أحمد في الصفات الاختيارية مخالفة لما عليه بعض متأخّري الحنابلة.

⮈ أمّا ما يتعلّق بالتفويض في باب الصفات: فهو ردّ العلم بمعاني نصوص الصفات إلى الله، مع اعتقاد أنّ ظاهرها غير مراد.

فقد قرّره ابن بلبان وعبدالباقي المواهبي.

قال ابن بلبان: "فكلّ ما صح نقله عن الله أو رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو جميع أمّته، وجب قبوله والأخذ به، **وإمراره كما جاء وإن لم يعقل معناه. فيحرم تأويل ما يتعلّق به تعالى وتفسيره**؛ كآية الاستواء، وحديث النزول، وغير ذلك إلاّ بصادرٍ عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

(١٠٣) الرد على الزنادقة والجهمية (ص٢٧٧-٢٧٨).

(١٠٤) درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٢٩٦-٢٩٧).

وَسَلَّمَ، أو بعض الصحابة"[105].

وقال عبدالباقي المواهبي: "بل الحنابلة يثبتون ما أثبته رسول الله–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ويمرّون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره، ويكلون علمه إلى الله –تعالى"[106].

وقال أيضاً: "وفي قوله: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ .. الآية ﴾[البقرة: ٢١٠].ونؤمن بذلك بلا كيف..

فلو شاء –سبحانه–أن يبيّن لنا كيفية ذلك فعل.فانتهينا إلى ما أحكمه، وكففنا عن الذي يتشابه"[107].

وقال أيضاً مقرّراً التفويض: "وسيأتي في التتمّة الخامسة..ذكر كلام الشيخ الأشعري، وأنّه موافق للإمام أحمد في الاعتقاد. وأنّه يجري المتشابهات على ما قال الله من غير تصرّفٍ ولا تأويل، كما هو مذهب السلف"[108].

✍ **أقول**: ممّا سبق نقله يتبين أنّ ابن بلبان وعبدالباقي على عقيدة الأشاعرة والماتريدية في سلوك أحد المسلكين فيما عدا الصفات السبع والثمان وذلك بتفويض العلم بمعناها إلى الله.

جاء في جوهرة التوحيد وشرحها هداية المريد:

وكلّ نصٍّ أوهم التشبيها ... أوّله أو فوّض ورم تنزيها

"متى ما ورد في الكتاب أو السنّة ظاهر يوهم خلاف ما وجب له تعالى أو جاز في حقّه، بأن يدلّ على المعنى المستحيل عليه تعالى، وجب علينا شرعاً تنزيهه تعالى عمّا دلّ عليه ذلك الظاهر، خلافاً للمجسّمة والمشبّهة متمسكين في إثبات الجسمية له تعالى بتلك الظواهر

---

(١٠٥) مختصر نهاية المبتدئين (ص٧٥).

(١٠٦) العين والأثر (ص٢٨٩).

(١٠٧) المصدر السابق (ص٢٩٣).

(١٠٨) المصدر السابق (ص٣٠٥-٣٠٦).

الواجبة التأويل لقبولها إيّاه...وإنّما اختلفوا هل يؤول ذلك الظاهر تأويلاً تفصيلياً، أو يؤول تأويلاً إجمالياً..فذهب إلى الأول: الخلف، ويعبّر عنهم بالمؤولة.

وذهب إلى الثاني: السلف، ويعبّر عنهم بالمفوضة"(١٠٩).

وجاء في تبصرة الأدلة في أصول الدين على مذهب الماتريدية عن نصوص الصفات ما نصّه: "ثمّ بعد ذلك اختلف مشايخنا رحمهم الله: منهم من قال في هذه الآيات إنّها متشابهة نعتقد فيها أن لا وجه لإجرائها على ظواهرها ونؤمن بتنزيلها ولا نشتغل بتأويلها ونعتقد أنّ ما أراد الله بها حق(١١٠)، وما يروى عن السلف من ألفاظ يوهم ظاهرها إثبات الجهة والمكان فهو محمول على هذا..، ومنهم من اشتغل ببيان احتمال الآيات معاني مختلفة سوى ظاهرها، ويقولون : نعلم أنّ المراد بعض ما تحتملها الألفاظ من المعاني التي لا تكون منافيةً للتوحيد والقدم، ولا يقطعون على مراد الله تعالى لانعدام دليلٍ يوجب القطع على المراد وتعيين بعض المعاني"(١١١)(١١٢).

وهذا واضح أنّ التفويض لمعاني نصوص الصفات بدعة كلامية أشعرية وماتريدية، فكيف تنسب للإمام أحمد والتي تعدّ تقريراته الكثيرة لإثبات معاني الصفات والرد على المخالفين من الأمور المستفيضة عنه.

✍ **أقول**: التفويض من أبطل الأقوال وأضلّها في باب صفات الله؛ لأمور:

١-أن التفويض بهذا المعنى مبنيّ على أساس فاسد، وهو أنّ ظاهر نصوص الصفات باطل لا يليق بالله.

وهذا جناية على النصوص حيث جعلوها دالّةً على معنىً باطل غير لائقٍ بالله، ولا مرادٍ له.

---

(١٠٩) هداية المريد لجوهرة التوحيد لإبراهيم اللقاني (ص١٤٦-١٤٧).

(١١٠) هذا مسلك التفويض.

(١١١) تبصرة الأدلة في أصول الدين لأبي المعين النسفي (١/ ١٨٣).

(١١٢) وهذا مسلك التأويل.

٢-أنّ النبيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يحضر مجلسه أقوام مختلفو الأفهام، متفاوتو الإدراك، ولم ينقل عنه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّه كان يحذّر من الإيمان بما يظهر من كلامه في صفات الله؛ ممّا يبيّن أنّها على ظاهرها وأنّها مفهومة عندهم[١١٣]؛ لذا فإنّه أقرّ الجارية عليه الصلاة والسلام حين أجابت على سؤاله: أين الله؟ [١١٤]بقولها: "في السماء" وحكم لها بالإيمان، ولم ينكر عليها بأنّ ذلك يقتضي التحيز في مكان.

٣-أنّ الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم وهم أعلم الناس بمراد الله ورسوله فسّروا كثيراً من صفات الله جلّ وعلا؛ ممّا يدلّ على أنّهم علموا معناها، فمن ذلك:

❀ قال عبدالله بن مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "الصمد: السيد الذي قد انتهى سؤدده"[١١٥]. فأثبت صفة الصمد على ظاهرها بحسب مقتضى اللغة وفسّرها، ولم يفوض المعنى إلى الله جلّ وعلا.

❀ وقال عبدالله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُما: "خلق الله أربعة أشياء بيده: آدم، والعرش، والقلم، وجنّات عدنٍ. ثّم قال لسائر الخلق: كن فكان"[١١٦]. فأثبت لله جلّ وعلا صفة اليدين ولم يفوض المعنى إلى الله.

❀ وكانت زينب رَضِيَ اللهُ عَنْهُا تفخر على أزواج النبيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتقول: "زوجكنّ أهاليكنّ، وزوجني الله من فوق سبع سماوات"[١١٧]، فأثبتت فوقية الذات لله جلّ وعلا.

٤-ممّا يبطل بدعة التفويض في الصفات"تفسير الصفات بذكر نقيضها" عند أئمّة السنة، أو المقابلة بين الصفة ونقيضها، فيقولون: "الله يعلم ولا يجهل"، "والله يقدر ولا

(١١٣) أقاويل الثقات، لمرعي الكرمي (ص٨٥).

(١١٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة (١/ ٣٨٢).

(١١٥) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٤٦٢).

(١١٦) أخرجه الآجرّي في الشريعة (٣/ ١١٨٢).

(١١٧) أخرجه البخاري في صحيحه.

يعجز"فلو كانوا مفوضةً لم يكونوا ليفسّروا الصفة بذكر نقيضها، فاستعمالهم للنقيض يدلّ على أنّهم مدركون للمعنى.

يقول الإمام حرب بن إسماعيل الكرماني(١١٨)في الاعتقاد الذي نقل عليه إجماع السلف: "والله تبارك سميع لا يشكّ، بصير لا يرتاب، عليم لا يجهل، جواد لا يبخل، حليم لا يعجل، حفيظ لا ينسى، يقظان لا يسهو، رقيب لا يغفل"(١١٩).

٥-يلزم على بدعة التفويض لوازم باطلة منها:

أ-القدح في حكمة الربّ جلّ وعلا حيث أنزل كلاماً لا يتمكّن المخاطبون به من فهمه ومعرفة معناه ومراد المتكلّم به، فنصوص الصفات على قولهم ألغاز وأحاجيّ لا معنى لها.

ب-غلق باب التدبر لهذه النصوص؛ لأنّ التدبر فرع عن معرفة المعنى(١٢٠).

ج-تجهيل النبيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار بأنهم لا يعلمون معاني ما أنزل الله عليهم من نصوص الصفات، بل يقولون كلاماً لا يعقلون معناه، ومعلوم أنّ هذا قدح في القرآن والأنبياء إذ كان الله أنزل القرآن، وأخبر أنّه جعله هدىً وبياناً للناس، وأمر الرسول أن يبلّغ البلاغ المبين، ومع هذا فأشرف ما فيه وهو ما أخبر به الربّ عن صفاته، أو عن كونه خالقاً لكلّ شيءٍ لا يعلم أحد معناه، فلا يعقل ولا يتدبّر(١٢١).

✍ **أقول**: وأقوال الإمام أحمد وتقريراته الكثيرة صريحة في إثبات الصفات لله وردّ بدعة التفويض، فمنها:

---

(١١٨) هو حرب بن إسماعيل بن خلف الحنظلي السيرجاني الكرماني نسبته إلى كرمان، وهي ولاية مشهورة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان، كنيته/ أبو محمد، ولد في حدود سنة (١٩٠هـ) . قال عنه الخلال: "كان رجلاً جليلاً حثّني المرّوذي على الخروج إليه.

توفي سنة (٢٨٠هـ) . انظر: طبقات الحنابلة (١/ ٣٨٨) .

(١١٩) اعتقاد حرب بن إسماعيل الكرماني، ضمن الجامع في عقائد ورسائل أهل السنة والأثر ص٥٨٠.

(١٢٠) انظر: القاعدة المراكشية لابن تيمية (ص٣٠) ، جواب الاعتراضات المصرية له أيضاً ص١١.

(١٢١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٠٤-٢٠٥) .

١ -قال رحمه الله: "وكما صحّ الخبر عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّه قال: "وكلتا يديه يمين" الإيمان بذلك، فمن لم يؤمن بذلك ويعلم أنّ ذلك حق كما قال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو مكذّب برسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"(١٢٢). فهذا نص من الإمام أحمد على أنّ ما قاله الرسول حق وصدق يُعلم ويُفهم ويؤمن به، وليس تفويضاً للمعنى كما يزعم المفوضة.

٢-وقال أيضاً: "وأنّ الله تعالى سميع عليم، نصفه بما وصف الله بها نفسه، وانف عن الله عَزَّ وَجَلّ ما نفاه عن نفسه"(١٢٣). وهذا نص صريح في إثبات صفتي السمع والعلم كما وصف الله بها نفسه دون تفويضٍ للمعنى.

٣-قال الخلال: "حدثنا يوسف بن موسى، قال: أخبرنا عبدالله بن أحمد، قلت لأبي: ربنا تبارك وتعالى فوق السماء السابعة، على عرشه، بائن من خلقه، وقدرته وعلمه بكلّ مكانٍ؟قال: نعم، على عرشه لا يخلو شيء من علمه "(١٢٤). فهذا نص واضح من الإمام أحمد في إثبات فوقيته جلّ وعلا واستواءه على عرشه، ولم يقل: الله أعلم بالمعنى، أو لا نفسره، أو نكل علمه إلى الله.

٤-قال الخلال: "حدثنا الميموني، قال: قال أبو عبدالله: من زعم أنّ يده نعماه كيف يصنع بقوله: ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[ص: ٧٥]، مشدّدة؟"(١٢٥). وهذا صريح في إثبات اليدين لله والرد على المؤولة في دعواهم أنّ اليد بمعنى النعمة، والرد على المفوضة في كونهم يكلون علم اليدين إلى الله، حيث صرّح الإمام أحمد بأنّ صيغة التثنية بالتشديد لاتحتمل سوى حقيقة اليدين.

٥-قال الخلال: "قال إسحاق بن منصور الكوسج لأحمد: "لا تقبحوا الوجه فإنّ الله خلق آدم على صورته"،أليس تقول بهذه الأحاديث؟

(١٢٢) اعتقاد الإمام أحمد (رواية محمد بن عوف) ضمن الجامع في عقائد أهل السنة والأثر (ص٣٨٨).

(١٢٣) اعتقاد الإمام أحمد (رواية مسدد) ضمن الجامع في العقائد (ص٣٦٩-٣٧٠).

(١٢٤) السنة للخلال (٢/ ٢٩٦).

(١٢٥) المصدر السابق (٢/ ٣٣٧).

قال أحمد: صحيح. [126].

٦-قال ابنه عبدالله في السنة: "سئل -الإمام أحمد- عمّا روي في الكرسي، وجلوس الربّ عليه؟، رأيت أبي يصحّح هذه الأحاديث: أحاديث الرؤية، ويذهب إليها، وجمعها في كتابٍ، وحدثنا بها"[127].

وبهذا يتبين مخالفة ابن بلبان وعبدالباقي المواهبي لعقيدة الإمام أحمد، فهو يثبت الصفات لله جلّ وعلا وهما مفوضان. ويتبين غلط عبد الباقي حين جعل الأشعري موافقاً للإمام أحمد في الصفات حين قال: "وأنه موافق للإمام أحمد في الاعتقاد، وأنّه يجري المتشابهات على ما قال الله"[128]؛ ذلك أنّ الإمام أحمد مثبت للصفات بينما الأشعري مضطرب، تارةً يؤول وتارةً يفوض[129].

❁ ❁ ❁

---

(١٢٦) المصدر السابق (٢/ ٣١٦) .

(١٢٧) السنة لعبدالله بن الإمام أحمد (ص٢٦٦) .

(١٢٨) العين الأثر (ص٣٠٥-٣٠٦) .

الفصل الرابع
الحكمة والتعليل، ومعنى تنزيه الله عن الظلم

نفى ابن بلبان وعبدالباقي المواهبي الحكمة والتعليل عن أفعال الله.

قال ابن بلبان: "اعلم أنّ كلّ شيءٍ سوى الله وصفاته حادث، والله سبحانه وتعالى خلقه وأوجده، وابتداه من العدم لا لعلّةٍ ولا لغرضٍ، ولا لداعٍ ولا لحاجةٍ ولا لموجبٍ"(١٣٠).

وقال عبدالباقي المواهبي: "كلّ شيءٍ سوى الله وصفاته حادث. وهو سبحانه وتعالى هو الذي خلقه، وأوجده، وابتدأه من العدم لا لعلّةٍ ولا لغرضٍ، ولا لموجبٍ"(١٣١).

أمّا أهل السنة فقالوا: بأنّ الله تعالى حكيم، ولا يخلو فعل من أفعاله تعالى عن حكمةٍ.

والحكمة مقصودة له سبحانه، يفعل لأجلها؛ لأنّه يحبّها ويرضاها، والفعل مترتّب عليها؛ إذ الحكمة تتضمّن شيئين:

❶ أحدهما: حكمة تعود إلى الله تعالى يحبها ويرضاها فهي صفة له تقوم به؛ لأنّ الله لا يوصف إلاّ بما قام به.

❷ وثانيهما: حكمة تعود إلى عباده، هي نعمة عليهم يفرحون ويلتذّون بها في المأمورات والمخلوقات(١٣٢).

قال ابن القيم: "الله سبحانه حكيم، لا يفعل شيئاً عبثاً، ولا لغير معنىً ومصلحةٍ وحكمةٍ هي الغاية المقصودة بالفعل، بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمةٍ بالغة لأجلها فعل، كما هي ناشئة عن أسبابٍ بها فعل، وقد دلّ كلامه وكلام رسوله على هذا في مواضع لا تكاد تحصى"(١٣٣).

✍ **أقول**: ما ذكره ابن بلبان والمواهبي هو بعينه ما عليه الأشاعرة، فقد أجمعوا على أنّه لا يفعل الفعل لغرضٍ وحكمةٍ. وإنما يفعل بمحض المشيئة والإرادة سبحانه وتعالى.

---

(١٣٠) مختصر نهاية المبتدئين في أصول الدين (ص٨١).

(١٣١) العين والأثر ص٢٠١-٢٠٣.

(١٣٢) انظر: منهاج السنة (١/ ١٤١)، مجموع الفتاوى (٨/ ٣٤).

(١٣٣) شفاء العليل (٣/ ١٠٢٥).

قال الآمدي: "مذهب أهل الحق أنّ الباري تعالىٰ خلق العالم وأبدعه لا لغايةٍ يستند الإبداع إليها، ولا لحكمةٍ يتوقف الخلق عليها، بل كلّ ما أبدعه من خيرٍ وشرّ ونفعٍ وضرّ لم يكن لغرضٍ قاده إليه ولا لمقصودٍ أوجب الفعل، بل الخلق وأن لا خلق له جائزان، وهما بالنسبة إليه سيّان"(١٣٤).

✍ **أقول**: وقد أثبت الإمام أحمد الحكمة والتعليل في أفعال الله جلّ وعلا.

قال الخلال في السنة: "وأخبرني عصمة بن عصام، قال: حدثنا حنبل، قال: قال أبو عبدالله: الخير والشرّ والشقوة والسعادة مكتوبان علىٰ العبد...قال: وسألت أبا عبدالله عن الإيمان بالقدر؟

قال: نؤمن به، ونعلم أنّ ما أصابنا لم يكن ليخطئنا، وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا، وأنّ الله قدّر كلّ شيءٍ من الخير والشرّ، فهو سابق في اللوح المحفوظ، الشقاء والسعادة مكتوبان علىٰ ابن آدم قبل أن يخلق، ونحن في أصلاب الآباء"(١٣٥). وهذا صريح في أنّ تقدير الله للخلق من خيرٍ وشرّ، أو سعادةٍ وشقاوةٍ لحكمةٍ يعلمها جلّ وعلا.

وقال الإمام أحمد: "ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلةً لم يقبلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها:

الإيمان بالقدر خيره وشرّه، والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها، لا يقال: لم؟ولا كيف؟إنّما هو التصديق والإيمان بها، ومن لم يعرف تفسير الحديث ويبلغه عقله فقد كُفي ذلك وأُحكم له، فعليه بالإيمان به، والتسليم له؛ مثل حديث: (الصادق والمصدوق)، وما كان مثله في القدر"(١٣٦).

➢ ومراده: أن من لم تظهر له حكمة الله من تقديره للأشياء فعليه الإيمان والتسليم.

---

(١٣٤) غاية المرام (ص١٩٦).

(١٣٥) السنة للخلال (١/ ٤٤٩).

(١٣٦) عقيدة الإمام أحمد التي رواها عبدوس العطار، ضمن الجامع في عقائد ورسائل أهل السنة والأثر (ص٣٤٩وص٣٧٥).

وقال أيضاً: "أفاعيل العباد مخلوقة، وأفاعيل العباد مقضيّة بقضاءٍ وقدر. قلت: الخير والشرّ مكتوبان على العباد؟قال: المعاصي بقدر"(١٣٧).

وهذا نص صريح يدلّ على أنّ كلّ ما يقع فهو بقدرٍ ولله حكمة فيه.

وأمّا معنى تنزيه الله عن الظلم، فقد فسّره ابن بلبان بقوله: "وله تعالى إيلام الخلق وتعذيبهم من غير جرمٍ سابقٍ، أو ثوابٍ لاحقٍ، أو اعتبارٍ لائقٍ. فله أن يفعل بخلقه ما يشاء، وكلّ ذلك منه حسن﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾[الأنبياء: ٢٣] "(١٣٨).

وقال أيضاً: "ويستحيل من الله كلّ ما هو مستحيل حقيقةً في العقل، ممّا للعقل مدخل في علمه ومجال، فلا يوصف الله بالقدرة على المحال في حقّه كالكذب، والظلم ونحوهما"(١٣٩).

وبنحوه قال عبدالباقي المواهبي: "وله تعالى إيلام الخلق وتعذيبهم من غير جرمٍ، فله أن يفعل بخلقه ما يشاء، وكلّ ذلك منه حسن"(١٤٠).

✍ **أقول**: هذا ما عليه الأشاعرة في تفسيرهم لمعنى تنزيه الله عن الظلم.

قال الغزالي: "ندّعي: أنّ الله تعالى قادر على إيلام الحيوان البريء عن الجنايات، ولا يلزمه عليه ثواب...

☜ فإن قيل: فيؤدّي إلى أن يكون ظالماً؛ وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾؟

✍ **قلنا**: الظلم منفي عنه بطريق السلب المحض؛ كما تسلب الغفلة عن الجدار، والعبث عن الريح؛ فإنّ الظلم إنّما يتصوّر ممّن يمكن أن يصادف فعله ملك غيره، ولا يتصور ذلك في حق الله تعالى، أو يمكن أن يكون عليه أمر فيخالف فعله أمر غيره، ولا يتصوّر من

---

(١٣٧) السنة للخلال (١/ ٤٥٦).

(١٣٨) مختصر نهاية المبتدئين (ص٨٢).

(١٣٩) المصدر السابق (ص٨٤).

(١٤٠) العين والأثر (ص٢٠٥).

الإنسان أن يكون ظالماً في ملك نفسه بكلّ ما يفعله إلاّ إذا خالف أمر الشرع، فيكون ظالماً بهذا المعنىٰ.

فمن لا يتصوّر منه أن يتصرّف في ملك غيره، ولا يتصوّر منه أن يكون تحت أمر غيره..كان الظلم مسلوباً عنه؛ لفقد شرطه المصحّح له، لا لفقده في نفسه. فلتفهم هذه الدقيقة؛ فإنّها مزلة القدم.

فإن فسّر الظلم بمعنىً سوىٰ ذلك..فهو غير مفهوم، ولا يتكلّم فيه بنفيٍ ولا إثبات"[١٤١].

❁ فالظلم عندهم: ليس بممكن الوجود، بل كلّ ممكنٍ إذا قدّر وجوده منه فإنّه عدل، والظلم هو الممتنع: مثل الجمع بين الضدين وكون الشيء موجوداً معدوماً؛ فإنّ الظلم: إمّا التصرّف في ملك الغير-وكلّ ما سواه ملكه-، وإمّا مخالفة الآمر الذي تجب طاعته-وليس فوق الله تعالىٰ آمر تجب عليه طاعته.

فهؤلاء يقولون: مهما تصوّر وجوده وقدّر وجوده فهو عدل[١٤٢].

✍ **أقول**: وأمّا أهل السنة فيرون: أنّ الظلم في اللغة: وضع الشيء في غير موضعه[١٤٣]، وهو في الشرع بمعناه في اللغة.

فالله جلّ وعلا حكم عدل يضع الأشياء مواضعها فلا يضع شيئاً إلاّ في موضعه الذي يناسبه، فلا يفرّق بين متماثلين ولا يسوّي بين مختلفين، ولا يعاقب إلاّ من يستحق العقوبة فيضعها موضعها لما في ذلك من الحكمة والعدل. وهو سبحانه حرّم الظلم علىٰ نفسه بفعله وإرادته بعد قدرته عليه تفضّلاً منه سبحانه، وعدلاً منه عَزَّ وَجَلّ. [١٤٤]وقد فسّره سلف الأمّة

---

(١٤١) الاقتصاد في الاعتقاد لأبي حامد الغزالي (ص٣٢٧-٣٢٩).

(١٤٢) رسالة في معنىٰ كون الرب عادلاً وفي تنزهه عن الظلم لابن تيمية ضمن جامع الرسائل (١/ ١٢١).

(١٤٣) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (٣/ ٢٢٤٨)، لسان العرب لابن منظور (١٢/ ٣٧٠٣).

(١٤٤) انظر: رسالة في معنىٰ كون الرب عادلاً وفي تنزهه عن الظلم لابن تيمية ضمن جامع الرسائل (١/ ١٢٣-١٢٤).

وأئمتها بأنّ لا يُحمّل المرء سيئات غيره، ولا يعذّبه بما لم تكسب يداه، وأنّه لا ينقص من حسناته فلا يجازىٰ بها أو ببعضها(١٤٥).

وهذا هو الظلم الذي نفىٰ الله خوفه عن العبد بقوله: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ [طه: ١١٢]. قال المفسرون: لا يخاف أن يحمل عليه سيئات غيره، ولا ينقص من حسناته، وقيل: يظلم بأن يؤاخذ بما لم يعمل، وقيل: لا يخاف ألا يجزىٰ بعمله"(١٤٦).

وأمّا الرد علىٰ تفسير تنزيه الله عن الظلم عند الأشاعرة، فيقال:

١-إنّ الله مدح نفسه بعدم إرادة الظلم، وعدم فعله، والمحال الذي لا يمكن، ولا يكون، لا يصحّ أن يُمدح بعدم إرادته، ولا فعله، ولا يحمد عليه؛ لأنّه ممتنع في نفسه وإنما يكون المدح بترك الأفعال لمن هو قادر عليها، وتنزّه عنها(١٤٧).

٢-إنّ القول بأنّ الظلم هو التصرّف في ملك الغير، غير مطّرد ولا منعكس؛ فإنّ الإنسان قد يتصرّف في ملك غيره بحق ولا يكون ظالماً، وقد يتصرّف في ملكه بغير حق فيكون ظالماً، وظلم العبد نفسه كثير في القرآن الكريم(١٤٨).

وكذا القول بأنّ الظلم مخالفة الآمر الذي تجب طاعته وأنّه لا يكون إلاّ من مأمورٍ منهي عنه فإنّه باطل، بدلالة الحديث المتقدّم"إنّي حرّمتُ الظلم علىٰ نفسي وجعلته بينكم محرّماً فلا تظالموا"؛ فالله هو من كتب علىٰ نفسه الرحمة، وحرّم علىٰ نفسه الظلم(١٤٩).

٣-قول الأشاعرة في تفسير معنىٰ تنزيه الله عن الظلم مبني علىٰ قولهم بنفي الحكمة والتعليل عن أفعال الله، وأنّ فعل الله لمحض المشيئة والإرادة، ولاشكّ أنّ هذا باطل، فقد دلّت نصوص القرآن والسنة أنّه سبحانه حكيم، لا يفعل شيئاً عبثاً، ولا لغير معنىً ولا

---

(١٤٥) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٨/ ٥٠٥)، شفاء العليل (٣/ ١٣٤٩-١٣٥٢).

(١٤٦) انظر: تفسير ابن جرير (٨/ ٤٦٢).

(١٤٧) انظر: مجموع الفتاوىٰ (١٨/ ١٤٤)، شفاء العليل (٣/ ١٣٥٠).

(١٤٨) انظر: مجموع الفتاوىٰ (١٨/ ١٤٥).

(١٤٩) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٦٦٠).

مصلحةٍ، بل أفعاله جلّ وعلا صادرة عن حكمةٍ بالغةٍ لأجلها فعل، كما هي ناشئة عن أسبابٍ بها فعل.

☜ **ومن الأدلّة على ذلك**: إخباره سبحانه وتعالى أنّه فعل كذا لكذا، وأنّه أمر بكذا لكذا؛ كقوله: ﴿ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[المائدة: ٩٧].

وقوله جلّ وعلا: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾[الطلاق:١٢][(١٥٠)].

✍ **أقول**: وقد فسّر الإمام أحمد تنزيه الله عن الظلم بما عليه أئمّة السنة.

قال الخلال: "أخبرني عصمة بن عصام، قال: حدثنا حنبل، قال: سألتُ أبا عبدالله، قلتُ: أفاعيل العباد مخلوقة؟

قال: نعم، مقدّرة عليهم بالشقاء والسعادة.

قلتُ له: الشقاء والسعادة مكتوبان على العبد؟

قال: نعم، سابق في علم الله، وهما في اللوح المحفوظ قبل أن يخلقه، والشقاء والسعادة من الله عَزَّ وَجَلّ.

قال عبدالله: الشقيّ: من شقي في بطن أُمّه، والسعيد: من سعد بغيره.

قال: وكتب الله على آدم أنّه يصيب الخطيئة قبل أن يخلقه.

قلت: فأمر الله العباد بالطاعة؟قال: نعم، وكتب عليهم المعصية لإثبات الحجّة عليهم، ويعذّب الله العباد وهو غير ظالمٍ لهم"[(١٥١)]. فهذا فيه سبق علم الله بمعصية العبد؛ لإقامة الحجّة عليهم، وأنّ تعذيبه لهم بسبب معصيتهم، فلم يظلمهم في ذلك، فهو لا يعاقب إلاّ من يستحق العقوبة فيضعها موضعها لما في ذلك من الحكمة والعدل.

ويتبين أنّ ما ذكره ابن بلبان والمواهبي مخالف لعقيدة الإمام أحمد في هذه المسألة.

❁ ❁ ❁

(١٥٠) انظر: شفاء العليل (٣/ ١٠٢٦).

(١٥١) السنة للخلال (١/ ٤٤٨).

الفصل الخامس
الاستثناء في الإيمان، وحصر الكفر بالجحود

قال ابن بلبان: "وقول إن شاء الله فيه سنة لا على الشكّ في الحال، بل المآل، أو في قبول بعض الأعمال، أو الخوف والتقصير، أو كراهة تزكية النفس"(١٥٢).

وبنحوه قال عبدالباقي المواهبي: "وقول: إن شاء الله فيه: سنة -كما قال ابن عقيل(١٥٣)- لا على الشكّ في الحال، بل في المآل، أو في قبول بعض الأعمال، أو لخوف التقصير، أو كراهة تزكية النفس"(١٥٤).

وقال عثمان بن قائد: "ويجوز الاستثناء فيه وقال ابن عقيل: يسن، والمراد لا على الشكّ في الحال، بل في المآل أو في قبول بعض الأعمال ونحو ذلك"(١٥٥).

✍ **أقول**: المراد بالاستثناء في الإيمان: قول الرجل مجيباً لمن سأله: أمؤمن أنت؟ إن شاء الله ونحوها من العبارات التي تشعر بعدم القطع.

وما ذكره ابن بلبان والمواهبي وعثمان بن قائد فيه حق وفيه باطل، أمّا الحق: فهو أنّ الاستثناء لأجل عدم تحصيله الإيمان المطلق، أو خوفاً من تزكية نفسه(١٥٦).

والباطل: هو قولهم بناءً على الشكّ في المآل فهو مأخذ كلاّبي أشعري.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأمّا الموافاة؛ فما علمتُ أحداً من السلف علّل بها الاستثناء ولكن كثير من المتأخّرين، يعلّل بها من أصحاب الحديث من أصحاب أحمد، ومالك

---

(١٥٢) مختصر نهاية المبتدئين (ص٨٧).

(١٥٣) هو علي بن محمد بن عقيل بن أحمد البغدادي، من فقهاء الحنابلة ببغداد، وصفه ابن رجب بأنه من أذكياء العالم، تأثّر في أول أمره بالمتكلّمين من المعتزلة ودرس على بعضهم كأبي علي بن الوليد، وأبي القاسم بن التبان، ثمّ رجع عن مذهب المتكلمين لعقيدة أهل السنة ،وأشهد على توبته، من مؤلفاته/ الفنون، الواضح في أصول الفقه، التذكرة في الفقه وغيرها. توفي سنة (٥١٣هـ). انظر: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (١/ ١٤٢).

(١٥٤) العين والأثر (ص٢١٨-٢١٩).

(١٥٥) نجاة الخلف (ص٧٦).

(١٥٦) انظر: الإيمان الأوسط لابن تيمية (ص٣٤٩-٣٥٣).

والشافعي وغيرهم؛ كما يعلّل بها نظّارهم كأبي الحسن الأشعري وأكثر أصحابه، لكن ليس هذا قول سلف أصحاب الحديث"(١٥٧).

وأمّا الإمام أحمد: فهو يرى جواز الاستثناء؛ لأجل الخشية من إتمام العمل على الوجه الذي أراده الشرع.

قال الخلال: "أخبرني محمد بن علي، قال: حدثنا الأثرم، قال: حدثنا أبو عبدالله بحديث عائشة رحمها الله، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إنّي لأرجو أن أكون أخشاكم لله".

فقال: "هذا أيضاً أرجو؛ أي:هو حجّة في الاستثناء في الإيمان؛ أي: أنّه قد قال: أرجو، وهو أخشاهم.

أخبرني محمد بن الحسين، أنّ الفضل حدثهم، قال: سمعت أبا عبدالله يعجبه الاستثناء في الإيمان، فقال له رجل. وأخبرنا سليمان بن الأشعث، قال: سمعت أبا عبدالله، قال له رجل، -وهذا لفظ سليمان وهو أتمّ-:

قيل لي: أمؤمن أنت؟قلت: نعم، هل عليّ في ذلك شيء؟هل الناس إلاّ مؤمن وكافر.

فغضب أحمد، وقال: هذا كلام الإرجاء، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾[التوبة: ١٠٦]، من هؤلاء؟ ثمّ قال أحمد: أليس الإيمان قولاً وعملاً؟قال الرجل: بلى.

قال: فجئنا بالقول؟ قال: نعم. قال: فجئنا بالعمل؟قال: لا. قال: فكيف تعيب أن يقول: إن شاء الله، ويستثني؟

زاد أبو داود سليمان بن الأشعث: وأخبرني أحمد بن أبي سريج: أنّ أحمد بن حنبل كتب إليه في هذه المسألة: أنّ الإيمان قول وعمل، فجئنا بالقول، ولم نجيء بالعمل، فنحن مستثنون بالعمل.

---

(١٥٧) الإيمان الكبير لابن تيمية (ص٧٥٩).

زاد الفضل: سمعت أبا عبدالله يقول: كان سليمان بن حرب حمل هذا على التقبّل، يقول: نحن نعمل ولا ندري يُتقبّل منّا أم لا"[(١٥٨)].

✍ **أقول**: كلام الإمام أحمد صريح في مأخذه من جواز الاستثناء وهو أنّ الإيمان يتضمّن فعل الواجبات، فلا يشهدون لأنفسهم بذلك، كما لا يشهدون لها بالبرّ والتقوىٰ؛ فإنّ ذلك ممّا لا يعلمونه وهو تزكية لأنفسهم بلا علم.

وممّا خالف فيه ابن بلبان والمواهبي وعثمان بن قائد: حصر الكفر بالجحود.

قال ابن بلبان: "والكفر: جحد ما لا يتمّ الإسلام بدونه، ومن فعل كبيرةً، أو داوم علىٰ صغيرةٍ فسق، فإن جحد حكماً ظاهراً أُجمع علىٰ تحريمه أو إباحته إجماعاً قطعيّاً، أوثبت جزماً كتحريم لحم خنزير، أوحلّ خبز ونحوه كفر"[(١٥٩)].

وقال عبدالباقي المواهبي: "والكفر: جحد ما لا يتمّ الإسلام بدونه"[(١٦٠)].

وقال عثمان بن قائد: "والكفر: جحد ما لا يتمّ الإسلام بدونه. ومن جحد ما لا يتمّ الإسلام بدونه أو جحد حكماً ظاهراً أجمع علىٰ تحريمه أوحلّه إجماعاً قطعياً، أوثبت جزماً كتحريم لحم الخنزير أوحلّ خبزٍ ونحوهما كفر"[(١٦١)].

✍ **أقول**: حصر الكفر بالجحود هو ما عليه الأشاعرة؛ لأنّ مفهوم الإيمان عندهم: هو التصديق بالقلب، وبدهي أن يكون ما يضادّه هو الجحود والتكذيب.

قال الآمدي: "الإيمان: هو تصديق القلب، وهو مذهب الشيخ أبي الحسن والقاضي أبي بكر والأستاذ أبي إسحاق"[(١٦٢)].

---

(١٥٨) السنة للخلال (١/ ٥٢٧-٥٢٨).

(١٥٩) مختصر نهاية المبتدئين (ص٨٦).

(١٦٠) العين والأثر (ص٢١٧).

(١٦١) نجاة الخلف (ص٧٥).

(١٦٢) أبكار الأفكار(٣/ ٣١٣).

وقال الغزالي: "والأصل المقطوع به: أنّ كلّ من كذّب محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ..فهو كافر؛ أي: مخلّدٌ في النار بعد الموت، ومستباح الدم والمال في الحياة..إلى جملة الأحكام،..إلى أن قال: "فإن قيل: السجود بين يدي الصنم كفر، وهو فعل مجرّد لا يدخل تحت هذه الروابط، فهل هو أصل آخر؟

✍ **قلنا**: لا، فإنّ الكفر في اعتقاده تعظيم الصنم، وذلك تكذيب لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وللقرآن، ولكن يعرف اعتقاده تعظيم الصنم تارةً بصريح لفظه، وتارةً بالإشارة إن كان أخرس، وتارةً بفعلٍ يدلّ عليه دلالةً قاطعةً؛ كالسجود حيثُ لا يحتمل أن يكون السجود لله تعالى، وإنّما الصنم بين يديه كالحائط وهو غافل عنه أو غير معتقدٍ تعظيمه، وذلك يعرف بالقرائن"[(١٦٣)].

وذكر الإيجي: أنّ الكفر عندهم :هو عدم تصديق الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثمّ قال: فإن قيل:فشادّ الزُنّار ولابس الغيار بالاختيار لا يكون كافراً؟قلنا: جعلنا الشيء علامةً للتكذيب فحكمنا عليه بذلك"[(١٦٤)].

"والكفر لا يختص بالتكذيب؛ بل لو قال: أنا أعلم إنّك صادق لكن لا أتبعك، بل أعاديك وأبغضك وأخالفك ولا أوافقك، لكان كفره أعظم؛ فلمّا كان الكفر المقابل للإيمان ليس هو التكذيب فقط، علم أنّ الإيمان ليس هو التصديق فقط، بل إذا الكفر، يكون تكذيباً ويكون مخالفةً ومعاداةً وامتناعاً بلا تكذيب؛ فلابدّ أن يكون الإيمان تصديقاً مع موافقةٍ وموالاةٍ وانقيادٍ لا يكفي مجرد التصديق"[(١٦٥)].

✍ **أقول**: قال الإمام أحمد في رسالته عمّن سأله عن الإرجاء، فقال: ويلزمه أن يقول إذا أقرّ، ثمّ شدّ الزُنّار في وسطه، وصلّى للصليب، وأتى الكنائس والبيع، وعمل عمل أهل

---

(١٦٣) الاقتصاد في الاعتقاد (ص٤٠٩، ٤٢٠).

(١٦٤) المواقف (ص٣٨٨).

(١٦٥) الإيمان الكبير لابن تيمية (ص٥٥٢).

الكتاب كلّه، إلاّ أنّه في ذلك يقرّ بالله، فيلزمه أن يكون عنده مؤمناً. وهذه الأشياء من أشنع ما يلزمهم "(١٦٦).

وقد علّق ابن تيمية رحمه الله على كلام الإمام أحمد قائلاً: " هذا الذي ذكره الإمام أحمد من أحسن ما احتجّ الناس به عليهم، جمع في ذلك جملاً يقول غيره بعضها، وهذا الإلزام لا محيد لهم عنه.

ولهذا لمّا عرف متكلّموهم مثل جهمٍ ومن وافقه أنّه لازم التزموه. وقالوا: لو فعل ما فعل من الأفعال الظاهرة لم يكن بذلك كافراً في الباطن؛ لكن يكون دليلاً على الكفر في أحكام الدنيا، فإذا احتجّ عليهم بنصوصٍ تقتضي أنّه يكون كافراً في الآخرة. قالوا: فهذه النصوص تدلّ على أنّه في الباطن ليس معه من معرفة الله شيء، فإنّها عندهم شيء واحد، فخالفوا صريح المعقول وصريح الشرع "(١٦٧).

أقول: وبهذا يتبين مخالفة ابن بلبان والمواهبي وعثمان بن قائد لعقيدة الإمام أحمد في عدم حصر الكفر بالتكذيب.

❁ ❁ ❁

(١٦٦) السنة للخلال (١/ ١٠٨٤).

(١٦٧) الإيمان الكبير (ص٧١٥-٧١٦).

الفصل السادس
مفهوم أهل السنة وإدخال الأشاعرة والماتريدية فيه

قال عبدالباقي المواهبي: "مقدمة: وهي: أنّ طوائف أهل السنّة ثلاثة: أشاعرة وحنابلة وماتريدية.

بدليل: عطف العلماء "الحنابلة"على الأشاعرة في كثيرٍ من الكتب الكلامية، وجميع كتب الحنابلة، والعطف يقتضي المغايرة.."(١٦٨).

ثمّ ذكر في المقصد الثاني: مسائل وقع فيها الخلاف بين الحنابلة والأشاعرة(١٦٩).

ومع ذكره لهذه المسائل إلاّ أنّ ذلك ليس مانعاً عنده من إدخال الأشاعرة في مفهوم أهل السنة أو الحنابلة، وكذلك الماتريدية.

✍ **أقول**: إدخال فرقتي الأشاعرة والماتريدية في مفهوم أهل السنة باطل غير صحيح؛ ذلك أنّ الأشاعرة والماتريدية يخالفون أهل السنة في مصدر التلقي وفي أغلب مسائل الاعتقاد، فكيف يدخلون في مسمّى أهل السنة بالمعنى الأخص؟

وثانياً: أنّ الأشاعرة والماتريدية متقاربان في الاعتقاد؛ ذلك أنّ منبعهما واحد وهو عبدالله بن سعيد بن كلاب.

والإمام أحمد رحمه الله قد بدّع عبدالله بن سعيد بن كلاب؛ لإنكاره الصفات الاختيارية لله جلّ وعلا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأمّا الحارث المحاسبي فكان ينتسب إلى قول ابن كلاب، ولهذا أمر أحمد بهجره، وكان أحمد يحذّر عن ابن كلاب وأتباعه"(١٧٠).

---

(١٦٨) العين والأثر (ص٢٦٥-٢٧٢) .

(١٦٩) المصدر السابق (ص٢٨٠-٣٠٨) .

(١٧٠) درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٢) .

وقال أيضاً: "والإمام أحمد بن حنبل وغيره من أئمّة السنة كانوا يحذّرون عن هذا الأصل الذي أحدثه ابن كلاب ويحذرون عن أصحابه. وهذا هو سبب تحذير الإمام أحمد عن الحارث المحاسبي ونحوه من الكلابية"(١٧١).

✍ **أقول**: وبالمقارنة بين عقيدة الإمام أحمد وعقيدة الأشاعرة والماتريدية نجد الفرق الكبير، وأولها في مصدر التلقي في باب الاعتقاد.

١-**مصدر تلقّي العقيدة** عند الإمام أحمد: الكتاب والسنة الصحيحة وما أجمع عليه السلف الصالح وهم الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم.

قال الإمام أحمد: "أصول السنة عندنا: التمسّك بما كان عليه أصحاب رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والاقتداء بهم. وترك البدع، وكلّ بدعةٍ فهي ضلالة. وترك المراء والجدال والخصومات في الدين.

وترك الجلوس مع أصحاب الأهواء. والسنة عندنا: آثار رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والسنة تفسّر القرآن، وهي دلائل القرآن. وليس في السنة قياس، ولا تُضرب لها الأمثال، ولا تُدرك بالعقول ولا الأهواء، إنّما هو الاتباع وترك الهوىٰ"(١٧٢).

وقال أيضاً: "رأي الشافعي ورأي مالك ورأي أبي حنيفة كلّه عندي سواء، وإنّما الحجّة في الآثار"(١٧٣).

بينما الأشاعرة والماتريدية: أجمعوا علىٰ اعتماد الدليل العقلي في المسائل العقدية، واعتبروها أدلّةً قطعيةً، وهوّنوا من الاعتماد علىٰ الأدلة النقلية؛ لأنّها أدلّةً ظنيةٍ.

قال الآمدي: "ولعلّ الخصم قد يتمسّك هاهنا بظواهر من الكتاب والسنة وهي بأسرها ظنية ولا يسوغ استعمالها في المسائل القطعية؛ فلهذا آثرنا الإعراض عنها ولم نشغل

---

(١٧١) مجموع الفتاوىٰ(١٢/ ٣٦٨).

(١٧٢) اعتقاد الإمام أحمد (رواية عبدوس العطار) ضمن الجامع في عقائد ورسائل أهل السنة والأثر (ص٣٤٨-٣٤٩).

(١٧٣) إعلام الموقعين لابن القيم (١/ ٧٩).

الزمان بإيرادها"(١٧٤).

بل ذهب السنوسي إلى أبعد من هذا فقال: "ولهذا قيل: إنّ أصول الكفر ستة: وذكر منها: التمسك في أصول العقائد بمجرّد ظواهر الكتاب والسنة من غير عرضها على البراهين العقلية والقواطع الشرعية؛ للجهل بأدلّة العقول"(١٧٥).فجعل التمسك بظواهر النصوص من أصول الكفر!.

وقال الماتريدي: "إنّا وجدنا الناس مختلفي المذاهب في النحل في الدين، متفقين على اختلافهم في الدين على كلمةٍ واحدةٍ: أنّ الذي هو عليه حق، والذي عليه غيره باطل، على اتفاق جملتهم من أنّ كلاً منهم له سلف يقلّد، فثبت أنّ التقليد ليس ممّا يعذر صاحبه، لإصابة مثله ضدّه، على أنّه ليس فيه سوى كثرة عددٍ، اللهمّ إلاّ أن يكون **لأحدٍ ممّن ينتهي القول إليه حجّة عقلٍ يعلم بها صدقه فيما يدّعي**، وبرهان يقهر المنصفين على إصابته الحق، فمن إليه"أي إلى العقل"مرجعه في الدين فهو المحق"(١٧٦).

٢-**معرفة الله**: فقد ذهب الإمام أحمد إلى أنّها فطرية ضرورية.

قال الخلال: "أخبرني عبدالملك بن عبدالحميد، قال: الفطرة الأولى التي فطر الله عَزَّ وَجَلّ عليها.

قلتُ له أنا: فما الفطرة الأولى، هي الدين؟ قال: نعم "(١٧٧).

بينما نجد الأشاعرة والماتريدية: يقرّرون أنّ المعرفة نظرية وليست فطرية.

فقد حكى الآمدي: وجوب النظر عن أكثر أصحابه الأشاعرة والمعتزلة فقال: "أجمعت الأمّة من المسلمين على وجوب معرفة الله تعالى، ووجوب معرفة الله تعالى لا يتمّ إلاّ بالنظر"(١٧٨).

---

(١٧٤) غاية المرام (ص١٧٦).

(١٧٥) حاشية الدسوقي على شرح أم البراهين (ص٣٤٥).

(١٧٦) التوحيد لأبي منصور الماتريدي (ص٣).

(١٧٧) السنة للخلال (١/ ٤٤٦).

(١٧٨) أبكار الأفكار (١/ ٩٢).

وذكر الماتريدي: أنّ معرفة الله لا تكون إلاّ بالاكتساب العقلي، فلذا أوجب معرفة الله بالعقل، ورتّب على ذلك إيجاب النظر والاستدلال ،وجعله أول واجبٍ على العبد(١٧٩).

٣-**حقيقة التوحيد**: إفراد الله بالعبادة والنهي عمّا يضادّه وهو: الشرك المخرج من الإسلام.

قال الإمام أحمد: "ويخرج الرجل من الإيمان إلى الإسلام، فإن تاب رجع إلى الإيمان، ولا يخرجه من الإسلام شيء إلاّ الشرك بالله العظيم.."(١٨٠).

بينما نجد الأشاعرة والماتريدية غاية التوحيد عندهم: الربوبية؛ لأنهم يفسرون الإله: بالقادر على الاختراع "بالربوبية"دون الإلهية، فلا غرابة أن نجدهم لا ينكرون الشركيات في الإلهية؛ لأنّه ليس من أقسام التوحيد المشهورة عندهم.

قال السنوسي في معنى الإله: "وإن شئت قلت في معنى الإله: هو المستغني عن كلّ ما سواه والمفتقر إليه كلّ ما عداه، وهو أظهر من المعنى الأول وأقرب منه (والمعنى الأول: لا مستحقّ للعبودية له موجود أوفي الوجود إلاّ الفرد الذي هو خالق العالم جلّ وعلا)، وهو أظهر من المعنى الأول وأقرب منه وهو أصل ؛لأنّه لا يستحقّ أن يعبد أي: يذلّ له كلّ شيء إلاّ من كان مستغنياً عن كلّ ما سواه ومفتقراً إليه كلّ ما عداه"(١٨١).

واستدلّ أبو المعين النسفي الماتريدي بدلالة التمانع على ربوبية الله فقال: "كما قال عَزَّ وَجَلّ في آيةٍ أخرى: ﴿ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ ﴾. فكان فيه إثبات ألوهيته لنفاذ مشيئته والاستدلال على كمال قدرته بذلك على ما قال: "فهو على كلّ شيءٍ قدير" وإبطال ربوبية غيره لعجزه عن كشف ما أثبته الله تعالى، وقال عَزَّ وَجَلّ في آيةٍ أخرى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ﴾استدلّ بانعدام القدرة لغيره على

(١٧٩) انظر: التوحيد للماتريدي (ص١٣٥-١٣٧) .

(١٨٠) اعتقاد الإمام أحمد (رواية مسدد) (ص٣٦٥) .

(١٨١) شرح أم البراهين مع حاشية الدسوقي (ص٣٢٩-٣٣٠) .

الإتيان بهذه الأشياء عند أخذه إيّاها على وحدانيته واستحالة ألوهيّة من لا قدرة له على ذلك"[١٨٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ولهذا كان من أتباع هؤلاء-المتكلّمين-من يسجد للشمس والقمر والكواكب، ويدعوها كما يدعو الله تعالى، ويصوم لها، وينسك لها، ويتقرّب إليها، ثمّ يقول: إنّ هذا ليس بشركو إنما الشرك إذا اعتقدتُ أنّها المدبرة لي، فإذا جعلتها سبباً وواسطةً لم أكن مشركاً. ومن المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أنّ هذا شرك"[١٨٣].

٤-مسألة كلام الله، وأنّ يتكلّم متى شاء إذا شاء، وأنّ كلامه بحرفٍ وصوت، وأنّ القرآن الذي بأيدينا ليس بمخلوق:

قال الإمام أحمد: "الذي أعتقده وأذهب إليه، ولا أشكّ فيه: أنّ القرآن غير مخلوق...ومن يشكّ في هذا؟!، قال الله عَزَّ وَجَلّ: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ففرّق بين الخلق والأمر.

قال أبو عبدالله: فالقرآن من علم الله، ألا تراه يقول: ﴿ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ [الرحمن: ٢]. والقرآن فيه أسماء الله، أيّ شيءٍ تقولون؟!ألا تقولون: إنّ أسماء الله غير مخلوقة؟من زعم أنّ أسماء الله مخلوقة فقد كفر، لم يزل الله قديراً، عليماً، عزيزاً، حكيماً، سميعاً، بصيراً، لسنا نشكّ أن أسماء الله ليست بمخلوقةٍ، ولسنا نشكّ أنّ علم الله تبارك وتعالى ليس بمخلوق، وهو كلام الله، ولم يزل الله متكلماً"[١٨٤].

وفي السنة لعبدالله بن الإمام أحمد: "سألتُ أبي عن قومٍ يقولون: لّما كلّم الله موسى لم يتكلّم بصوتٍ؟

فقال أبي: بلى، إنّ ربك عَزَّ وَجَلّ تكلّم بصوتٍ، هذه الأحاديث نرويها كما جاءت.

---

(١٨٢) تبصرة الأدلة (١/ ٨٤).

(١٨٣) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٢٧-٢٢٨).

(١٨٤) السنة للخلال (٢/ ٥٥-٥٦).

وقال أبي: حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إذا تكلّم الله عَزَّ وَجَلّ سُمع له صوت كجرّ السلسة على الصفوان. قال أبي: وهذا الجهمية تنكره"[١٨٥].

أمّا الأشاعرة: فقد ذكر الجويني أنّ الفارق بينهم وبين المعتزلة، كون المعتزلة تنكر الكلام النفسي، وهم يثبتونه، وأمّا هذا القرآن الموجود بين دفّتي المصحف فهم متفقون مع المعتزلة على أنّه "مخلوق".

قال: "وقولهم-أي المعتزلة-إنّه كلام الله، إذا رُدّ إلى التحصيل آل الكلام إلى اللغات والتسميات، فإنّ معنى قولهم: هذه العبارات كلام الله؛ أنّها خلقه، ونحن لا ننكر أنها خلق الله،ولكن نمتنع من تسمية خالق الكلام متكلّماً به، فقد أطبقنا على المعنى، وتنازعنا بعد الاتفاق في تسميته"[١٨٦].

وجاء في شرح الجوهرة للبيجوري تعريف كلام الله بأنّه: "صفة أزليّة قائمة بذاته تعالى، ليست بحرفٍ ولا صوتٍ"[١٨٧].

وجاء فيه أيضاً: "ومع كون اللفظ الذي نقرؤه حادثاً لا يجوز أن يقال: القرآن حادث، إلاّ في مقام التعليم"[١٨٨].

وهذا صريح في كون الأشاعرة ينفون الحرف والصوت في كلام الله، وأنّ هذا القرآن الذي بين أيدينا مخلوق، وكما ذكر شارح الجوهرة: لا يقال بخلق القرآن إلاّ في مقام التعليم.

وأمّا الماتريدية: فقد صرّح الماتريدي بأنّ هذه الحروف والأصوات مخلوقة فقال: "فإن قال قائل: هل أسمع الله كلامه موسى حيث قال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾[النساء: ١٦٤].

قيل: أسمعه بلسان موسى وبحروفٍ خلقها وصوتٍ أنشأه، فهو أسمعه ما ليس بمخلوق"[١٨٩].

(١٨٥) السنة لعبدالله بن الإمام أحمد (ص٢٤٤-٢٤٥).

(١٨٦) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (ص١٥٧-١٥٨).

(١٨٧) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد (ص٢١٠).

(١٨٨) المصدر السابق (ص٢١٢).

(١٨٩) التوحيد للماتريدي (ص٥٨-٥٩).

وصرّح أبو المعين النسفي بذلك قائلاً: "كلام الله تعالى صفة قائمة بذات الله تعالى ليست من جنس الحروف والأصوات.. ، وهو صفة أزلية. ثمّ هذه العبارات العربية أو العبرية أو السورية عبارات عنه وهو يتأدّى بها، **وهذه العبارات حروف وأصوات وهي محدثة مخلوقة في محالّها**، دلالات على الكلام الذي هو الصفة الأزلية لله،...وهذه الألفاظ تسمّى قرآناً وكلام الله لتأدّي كلام الله بها، **وهي في أنفسها مخلوقة**"(١٩٠).

وهذا صريح في أنّ الماتريدية يرون القول بخلق القرآن الموجود بأيدينا، فهذه الحروف والعبارات مخلوقة.

٥-**تعريف الإيمان**: فقد صرّح الإمام أحمد بأنّ الإيمان: قول وعمل.

قال عبدالله بن الإمام أحمد: "سمعتُ أبي رحمه الله وسئل عن الإرجاء؟ فقال: "نحن نقول: الإيمان: قول وعمل، يزيد وينقص، إذا زنى وشرب الخمر نقص إيمانه""(١٩١).

❁ وحذّر الإمام أحمد من المرجئة والجهمية. ففي السنة للخلال: "أخبرني محمد بن موسى، ومحمد بن علي، أنّ حمدان بن علي الورّاق حدّثهم، قال: سألتُ أحمد-وذكر عنده المرجئة-، فقلتُ له: إنّهم يقولون: إذا عرف الرجل ربّه بقلبه فهو مؤمن. فقال: المرجئة لا تقول هذا؛ بل الجهمية تقول بهذا.

المرجئة تقول: حتى يتكلّم بلسانه، وإن لم تعمل جوارحه.

والجهمية تقول: إذا عرف ربّه بقلبه، وإن لم تعمل جوارحه؛ وهذا كفر؛ إبليس قد عرف ربّه، فقال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩] ""(١٩٢).

بينما الأشاعرة والماتريدية: من فرق المرجئة الغلاة، أجمعت كتبهم قاطبةً على أنّ ركن الإيمان هو التصديق القلبي ،واختلفوا في النطق باللسان هل هو ركن أم لا؟.

---

(١٩٠) تبصرة الأدلة في أصول الدين (١/ ٢٨٣-٢٨٤) .

(١٩١) السنة لعبدالله بن الإمام أحمد (ص٢٧٤) .

(١٩٢) السنة للخلال (١/ ٤٩٢) .

قال صاحب الجوهرة: وفُسّر الإيمان بالتصديق والنطق فيه الخلف بالتحقيق، قال ناظمها في شرحه: "يعني: أنّ جمهور المتكلّمين من الأشاعرة والماتريدية وغيرهم فسّروا الإيمان عرفاً: بأنّه تصديق النبيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كلّ ما عُلم مجيئه به من الدين بالضرورة؛ أي: فيما اشتُهر بين أهل الإسلام وصار العلم به يشابه العلم الحاصل بالضرورة؛ أي: الإذعان والقبول مع الرضا والتسليم وطمأنينة النفس لذلك؛ تفصيلاً فيما عُلم تفصيلاً، وإجمالاً فيما عُلم إجمالاً...وإنما اختلفوا في جهة مدخليّة النطق في حقيقة الإيمان، هل هي الشرطية أوهي الشطرية، أو أنّه الإيمان.. ؛ لأنّ التصديق القلبي وإن كان إيماناً إلاّ أنّه باطن خفيّ فلابدّ له من علامةٍ ظاهرةٍ تدلّ عليه لتُناط به تلك الأحكام، وهذا فهم الجمهور.

وعليه، فمن صدّق بقلبه ولم يقرّ بلسانه لا لعذرٍ ولا لإباء، بل اتفق له ذلك فهو مؤمن عند الله، غير مؤمن في أحكام الشرع الدنيوية..."(١٩٣).

وذهب جمهور الماتريدية–وعلى رأسهم الماتريدي–إلى أنّ الإيمان هو التصديق بالقلب فقط.

قال أبو المعين النسفي: "الإيمان في اللغة عبارة عن التصديق، فكلّ من صدّق غيره فيما يخبره يسمّى في اللغة مؤمناً به، ومؤمناً له... ، ثمّ إنّ هذا اللغوي، وهو التصديق بالقلب، هو حقيقة الإيمان الواجب على العبد حقّاً لله تعالى، وهو أن يصدّق الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيما جاء به من عند الله تعالى، فمن أتى بهذا التصديق فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى"(١٩٤).

✍ **أقول**: هذه نماذج من بعض المسائل العقدية التي يتبين بها المفارقة الظاهرة بين عقيدة الإمام أحمد وعقائد الأشاعرة والماتريدية، وإلاّ فهناك مسائل أخرى فيها مخالفة واضحة بينهم.

ويتبين: أنّ إدخال عبدالباقي المواهبي للأشاعرة والماتريدية في مفهوم أهل السنة غلط ظاهر لا يوافق عليه.

---

(١٩٣) هداية المريد لجوهرة التوحيد (ص٧٥، ٧٨-٧٩) .

(١٩٤) التمهيد في أصول الدين لأبي المعين النسفي (ص٩٩-١٠١) .

وإنما يختصّ هذا المفهوم: بما كان عليه النبيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه وتابعوهم وأئمّة الدين إلىٰ وقتنا هذا، دون من رمي ببدعةٍ أو شُهر بلقبٍ غير مرضيّ؛ كالخوارج والشيعة والجهمية والقدرية والمعتزلة والمرجئة والأشاعرة والماتريدية وغيرهم من طوائف أهل الضلال.

☜ **هذا ما تيسر لي في تحرير هذا البحث**: من المقارنة بين عقيدة الإمام أحمد ببعض متأخّري الحنابلة وهم: ابن بلبان وعبدالباقي المواهبي وعثمان بن قائد.

وبالله التوفيق، وصلّىٰ الله وسلّم علىٰ نبينا محمدٍ وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

الخاتمة

وفيها أبرز نتائج البحث.

١-منشأ الغلط لدى بعض متأخري الحنابلة كابن بلبان ومن معه: الاعتماد على رسالة التميميين فيما نقلاه من فهمهما لعقيدة الإمام أحمد لا من لفظه.

٢-خالف ابن بلبان ومن معه عقيدة الإمام أحمد في بعض مسائل الاعتقاد منها:

- ✓ معرفة الله نظرية وليست فطرية، وأول واجبٍ على المكلّف النظر.
- ✓ استعمال الألفاظ المجملة؛ كنفي الجوهر والعرض وحلول الحوادث والمكان عن الله.
- ✓ الوقوع في بدعة التفويض في صفات الله، والاقتصار في إثبات الصفات الذاتية دون الفعلية الاختيارية.
- ✓ نفي الحكمة والتعليل في أفعال الله، وموافقة الأشاعرة في تفسير معنى تنزيه الله عن الظلم.
- ✓ الاستثناء لأجل الموافاة، وحصر الكفر بالجحود والتكذيب.
- ✓ إدخال عبدالباقي المواهبي الأشاعرة والماتريدية في مفهوم أهل السنة.

٣-لا يجوز أن تنسب هذه العقائد التي قرّرها ابن بلبان وعبدالباقي وعثمان بن قائد للإمام أحمد، أو للحنابلة، وإنما تنسب لهم؛ لوضوح مخالفة الإمام أحمد لهذه العقائد التي ذكروها.

فهرس المراجع

١. الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة. وهوالمعروف بـ"الإبانة الكبرىٰ". تصنيف: أبي عبدالله عبيدالله بن محمد بن حمدان ابن بطة العكبري. تحقيق/ عادل آل حمدان.

٢. أبكار الأفكار في أصول الدين، لأبي الحسن سيف الدين الآمدي. تحقيق/أ. د. أحمد محمد المهدي، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية –القاهرة. الطبعة الثانية: ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.

٣. الإجماع لابن المنذر، تحقيق/صغير أحمد بن محمد، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولىٰ: ١٤٠٢هـ.

٤. الأجوبة السعدية عن المسائل الكويتية. مركز البحوث والدراسات الكويتية. تحقيق/ وليد المنيس. ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٥. الإرشاد إلىٰ قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، لعبدالملك بن عبدالله بن يوسف الجويني. تحقيق/ محمد إدريس وبهاء أحمد الخلايلة. دار النور المبين للنشر والتوزيع. الطبعة الأولىٰ/ ٢٠١٦م.

٦. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية. القاهرة، ١٤١٣هـ.

٧. إعلام الموقعين عن رب العالمين. لابن قيم الجوزية، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٨٨هـ.

٨. أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات، مرعي بن يوسف الكرمي. تحقيق/ شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولىٰ/ ١٤١٦هـ.

٩. الاقتصاد في الاعتقاد. تأليف: أبي حامد الغزالي. دار المنهاج–جدة، الطبعة الأولى– الإصدار الثاني. ١٤٣٧هـ -٢٠١٦م ، تحقيق/ أنس الشرفاوي.

١٠. الإيمان الأوسط. لشيخ الإسلام ابن تيمية. دراسة وتحقيق/ د. علي الزهراني. دار ابن الجوزي، الطبعة الرابعة / ١٤٣٤هـ.

١١. الإيمان الكبير. لشيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق/ الشبراوي بن أبي المعاطي المصري. دار العاصمة للنشر والتوزيع في الرياض، الطبعة الأولى/ ١٤٣٤هـ.

١٢. تبصرة الأدلة في أصول الدين على طريقة الإمام أبي منصور الماتريدي. تأليف: أبي المعين ميمون بن محمد النسفي. تحقيق وتعليق/ كلّود سلامة. المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، الطبعة الأولى/ ١٩٩٠م.

١٣. تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد. لإبراهيم بن محمد البيجوري. اعتناء وتعليق/ أحمد الشاذلي الأزهري. دار النور المبين للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى : ٢٠١٦ م.

١٤. التمهيد في أصول الدين، لأبي المعين النسفي، تحقيق/ د. عبدالحي قابيل. دار الثقافة للنشر والتوزيع. القاهرة، ١٤٠٧هـ.

١٥. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ليوسف بن عبدالله بن عبدالبر النميري. تحقيق/ سعيد أحمد أعراب وآخرين، سنة ١٣٨٧هـ.

١٦. تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد الأزهري. تحقيق/ د. رياض زكي. دار المعرفة، بيروت. الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.

١٧. التوحيد لأبي منصور الماتريدي، تحقيق/ فتح الله خليف. دار المشرق، بيروت.

١٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري. تحقيق/ د. عبدالله التركي. مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، الطبعة الأولى/ ١٤٢٢هـ–٢٠٠١م.

١٩. الجامع في عقائد ورسائل أهل السنة والأثر. جمعه واعتنى به: عادل بن عبدالله آل حمدان. دار المنهج الأول للنشر. الطبعة الثانية: ١٤٣٧هـ -٢٠١٦م.

٢٠. جواب الاعتراضات المصرية عن الفتيا الحموية. لشيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق/ محمد عزير شمس. الناشر: مجمع الفقه الإسلامي-جدة-دار عالم الفوائد.

٢١. حاشية الدسوقي على شرح أم البراهين لمحمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي. المكتبة العصرية، الطبعة الأولى/ ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م.

٢٢. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبّي، المطبعة الوهبية في القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٨٦٧م.

٢٣. درء تعارض العقل والنقل. لشيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق/ د. محمد رشاد سالم، الطبعة الثانية/ ١٤١١هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٢٤. ذيل طبقات الحنابلة: عبدالرحمن بن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت.

٢٥. الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله. للإمام أحمد بن حنبل. دراسة وتحقيق/ دغش بن شبيب العجمي. غراس للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان. الطبعة الأولى/ ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٢٦. الرد على المنطقيين. لشيخ الإسلام ابن تيمية، الناشر: دار ترجمان السنة-باكستان-سنة النشر: ١٩٧٦م.

٢٧. رسالة في الصفات الاختيارية لابن تيمية، ضمن جامع الرسائل، المجموعة الثانية، تحقيق د. محمد رشاد سالم. دار المدني، الطبعة الأولى/ ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.

٢٨. رسالة في تحقيق مسألة علم الله، ضمن جامع الرسائل لابن تيمية، المجموعة الأولى/ تحقيق د. محمد رشاد سالم، الناشر: دار المدني. الطبعة الأولى/ ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

٢٩. رسالة في معنى كون الرب عادلاً وفي تنزيهه عن الظلم. لشيخ الإسلام ابن تيمية، ضمن جامع الرسائل. المجموعة الأولى. تحقيق/ د. محمد رشاد سالم. الناشر: دار المدني -جدة- الطبعة الأولى/ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

٣٠. السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة. لمحمد بن عبدالله بن حميد النجدي، تحقيق/ بكر أبوزيد وعبدالرحمن العثيمين. الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى/ ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٣١. السنة لابن أبي عاصم، عمرو بن أبي عاصم الشيباني، تحقيق/ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٥هـ.

٣٢. السنة لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال، تحقيق/ عادل آل حمدان. دار الأوراق الثقافية، الطبعة الثالثة: ١٤٣٩هـ.

٣٣. السنة لعبدالله بن الإمام أحمد بن حنبل الشيباني. تحقيق/ عادل آل حمدان. الطبعة الثانية: ١٤٣٧هـ.

٣٤. شرح العقيدة الطحاوية، لعلي بن محمد بن أبي العز الحنفي. تحقيق/ د. عبدالله التركي وشعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية/ ١٤١٣هـ.

٣٥. شرح العقيدة الواسطية، د. محمد خليل هراس، تحقيق/ علوي السقاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع الخبر، الطبعة الثالثة/ ١٤١٥هـ.

٣٦. الشريعة للآجرّي، محمد بن الحسين الآجرّي. تحقيق/ عبدالله بن عمر الدميجي، دار الوطن، الرياض. الطبعة الأولى/ ١٤١٨هـ.

٣٧. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل. لابن قيم الجوزية. تحقيق/ علي العجلان وأحمد الصمعاني. دار الصميعي للنشر والتوزيع-الرياض، الطبعة الثانية: ١٤٣٤هـ.

٣٨. صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، مراجعة/ محمد بن علي قطب وآخرين. المكتبة العصرية بيروت، ١٤١٥هـ.

٣٩. صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق/ محمد فؤاد عبدالباقي، المكتبة الإسلامية، استنابول.

٤٠. طبقات الحنابلة، للقاضي أبي يعلى، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة.

٤١. عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية. د. أحمد القصيّر. مكتبة الرشد/ الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

٤٢. العين والأثر في عقائد أهل الأثر، لعبدالباقي بن عبدالباقي البعلي الحنبلي. دراسة وتحقيق: راشد الطيار. بحث أعدّه للحصول على درجة الماجستير عام ١٤٠٥هـ بإشراف/ الشيخ عبدالله الجبرين. (غير مطبوع).

٤٣. غاية المرام في علم الكلام. لعلي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي. تحقيق/ حسن محمود عبداللطيف. الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية-القاهرة، سنة ١٣٩١هـ.

٤٤. الفتوى الحموية الكبرى. لشيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق د. عبدالقادر الغامدي. دار المأثور، الطبعة الثانية، ١٤٣٦هـ -٢٠١٥م.

٤٥. القاعدة المراكشية. لشيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق/ دغش العجمي. دار القبس للنشر والتوزيع. الرياض. الطبعة الأولى / ١٤٣٣هـ.

٤٦. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت. الطبعة الثانية: ١٤١٤هـ.

٤٧. لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة. لعبدالملك بن عبدالله بن يوسف الجويني. تحقيق/ فوقية محمود. عالم الكتب بيروت، الطبعة الثانية/ ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م.

٤٨. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية. جمع/ عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد. دار عالم الكتب. الطبعة الأولى/ ١٤١٢هـ.

٤٩. مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ. جمع وترتيب وتحقيق/ محمد ابن عبدالرحمن بن قاسم. مطبعة الحكومة بمكة. سنة / ١٣٩٩هـ.

٥٠. مجموعة الرسائل الكبرى. لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

٥١. مختصر نهاية المبتدئين في أصول الدين. للبلباني الحنبلي. حققه/ أبو العالية فخر الدين بن الزبير المحسي. مكتبة العمرين العلمية-الإمارات-الشارقة-الطبعة الأولى/ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٥٢. المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل. لابن بدران. تحقيق: عبدالله التركي. مؤسسة الرسالة. سنة النشر: ١٤٠١هـ -١٩٨١م.

٥٣. المسائل التي نسبها المتكلّمون إلى الأئمة الأربعة في أصول الدين عرض ونقد. تأليف/ عبدالعزيز الحميدي. دار البلد-مصر-دار الفضيلة-السعودية، الطبعة الأولى/ ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م.

٥٤. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة. لابن قيم الجوزية. مكتبة الرياض الحديثة.

٥٥. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية. لشيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق/ د. رشاد سالم. الطبعة الثانية/ ١٤١١هـ ، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٥٦. المواقف في علم الكلام. لعضد الدين الإيجي. طبعة: عالم الكتب. بدون ذكر تاريخ الطباعة.

٥٧. موقف ابن تيمية من الأشاعرة. د. عبدالرحمن المحمود. مكتبة الرشد-الطبعة الأولى/ ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٥٨. نجاة الخلف في اعتقاد السلف. لعثمان بن أحمد بن قائد النجدي الحنبلي. تحقيق/ د. أبو اليزيد العجمي. دار الصحوة للنشر والتوزيع بالقاهرة، الطبعة الأولى / ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٥٩. هداية المريد لجوهرة التوحيد. تأليف: إبراهيم اللقاني. دار المعارف-بيروت. الطبعة الأولى. ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

❁ ❁ ❁

فهرس الموضوعات